التفسير الميسر

الجزء الخامس

فهد بن عبد العزيز العمار

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس

تفسير سورة النساء (ص:٨٢) من الآية ٢٤-٢٦

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٢٤].

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾؛ لازال الحديث عن النساء المحرمات، ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾؛ أي: وحُرمت عليكم أيضًا المحصنات؛ أي المتزوجات. ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾؛ لا يجوز لكم أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن. ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ من الإماء بالسبي، فلكم الوطء، وإن كان لهن أزواج في دار الحرب، لكن بعد الاستبراء.

﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: هذا ما كتبه الله - سبحانه وتعالى- عليكم، ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾؛ أي: ما سوى ما حرمه الله - سبحانه وتعالى-، فهو مباح، ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾؛ بأموالكم أي: بالصداق، تدفعون أموالًا للصداق، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾؛ هنا أي: متزوجين، مريدين للزواج، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ أي: غير زانين، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾؛ استمتعتم أي: تمتعتم، به منهن؛ ممن تزوجتم بالوطء، ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: مهورهنّ التي فرضتم لهن، ﴿فَرِيضَةً﴾؛ إذًا معنى الآية: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾؛ مما نكحتموهن على

الشريطة المذكورة قبل قليل، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ أي: عاقدين الزواج، معطين المهور، هنا يجوز لكم أن تستمتعوا بهن.

﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾؛ ثم قال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾؛ تراضيتم أنتم وهن به من بعد الفريضة، من حط هذه المهور، أو بعضها، أو الزيادة عليها، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾؛ بخلقه، ﴿حَكِيمًا﴾؛ فيما دبره الله - سبحانه وتعالى- لهم، الله - سبحانه وتعالى- ذكر المحصنات، وذكر "محصنين"، ويُذكر الإحصان، والمحصنات في القرآن على معانٍ منها:

المعنى الأول: المحصنات بمعنى: الحرائر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النساء:٢٥]، أي: الحرائر.

المعنى الثاني: المحصنات أي المتزوجات، أي: ذوات الأزواج، كما في الآية التي أمامنا: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

المعنى الثالث: المحصنات أي العفيفات، قال تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ [النساء:٢٥]، أي: محصنات أي عفيفات، ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾؛ كذلك الله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ محصنين أي أعفاء، ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾؛ غير زناة، والله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة:٥]؛ المحصنات ليس معناه المتزوجات، المحصنات هنا بمعنى العفيفات، أي: العفيفة من الذين أوتوا الكتاب.

المعنى الرابع للمحصنات: أي: المسلمات،

ثم قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء:٢٥].

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ طولًا أي غنى، ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ أي: ليس عنده مال ينكح؛ يتزوج، المحصنات أي: الحرائر، ﴿الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾؛ هذا هو الأصل في الزواج؛ أن تكون محصنةً مؤمنةً.

﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ تنكح ما ملكت يمينك، أي: المملوكة. ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾؛ أي: اكتفوا بالظاهر، وكِلُوا السرائرَ إلى الله - سبحانه وتعالى-، فإنه العالم بتفضيلها، ورُب أمة تفضُل حرةً، ثم قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾؛ أي: أنتم وهن سواء في الدين، فلا تتكبروا عن نكاحهن.

﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾؛ أي: بإذن مواليهن.

﴿وَآتُوهُنَّ﴾؛ أعطوهن.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: المهور.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ من غير مماطلة ولا نقص، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾؛ أي: عفيفات، ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾؛ أي: غير زانيات، ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾؛ الأخدان أي: الأصدقاء، يزنون بهن في السر.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾؛ أي: زُوِجنَ.

﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ إن أتين بفاحشة أي زنا، ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾؛ أي: الحرائرُ الأبكارُ إذا زنينَ، الحرة البكر إذا زنت تُجلَد مائة، والإماء إذا

أُحصنّ؛ أي: تزوجن؛ فتجلد نصف ما على المحصنات، أي: تُجلد خمسين، وتُغرَّب سنة، ومثلها كذلك العبيد، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ﴾؛ ذلك أي: بمعنى ذلك نكاح المملوكة؛ عند عدم الغنى.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾؛ أي: خاف العنت أي: الزنا، فالذي يخاف أن يقع في الزنا إن لم يتزوج، فله أن يتزوج الأمة، والله – سبحانه وتعالى– قال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾؛ ولأنَّ الرجلَ إذا تزوج أمة، فالولد يكون مملوكًا، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾؛أي: عن نكاح المملوكات، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ لئلا يصير الولد رقيقًا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ بالتوسعة عليكم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾؛ يبين شرائع دينه، ومصالح أمركم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ سنن أي: طُرق الذين من قبلكم من الأنبياء في التحليل، والتحريم فتتبعونه.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يريد أن يدلكم على ما يكون سبب لتوبتكم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾؛ بكم، ﴿حَكِيمٌ﴾؛ فيما دبره لكم.

تفسير سورة النساء (ص:٨٣) من الآية ٢٧-٣٣

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ كرَّره الله - سبحانه وتعالى- أمر التوبة؛ للحث عليها؛ وليبني عليها ما سيأتي، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يريد أن يدلكم على ما يكون سبباً لتوبتكم، ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾؛ من اليهود والنصارى والمنافقين، ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾؛ عن الإسلام، ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾؛ تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرم الله عليكم، فتكونوا مثلهم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾؛ أي يسهل عليكم في الأحكام، وأحكام الشرع.

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾؛ لا يصبر عن الشهوات، كذلك ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾؛ في أصل خلقته، يقول الحسن: خُلق من ماءٍ مهين.

ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾؛ أي: بالحرام؛ مثل الربا، والغصب.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾؛ إلا بمعنى: لكن أن تكون، ﴿تِجَارَةً﴾؛ أي: تقع تجارة. ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾؛ بينكم، تقع تجارة، تكون هذه الأموال؛ أموال تجارة صادرة عن تراضٍ منكم، وطيب نفس، فلكم أن تأكلوها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها سواءً كان في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾؛ في منعكم عن هذه الأمور، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠].

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ من يفعل ما نهى الله - سبحانه وتعالى- عنه، ﴿عُدْوَانًا﴾؛ تجاوزاً، أي: يتجاوز الحلال إلى الحرام، ﴿وَظُلْمًا﴾؛ يظلم الآخرين.

﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾؛ نُصليه أي: نُدخله.

﴿نَارًا﴾؛ يحترق فيها.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي هيناً.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ الكبائر: الأمر الذي تَوَعَّدَ الله - سبحانه وتعالى- عليه؛ فختمه بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، أو عذابٍ؛ أي: ما أوجب الله -سبحانه وتعالى- عليه نارًا في الآخرة، أو حداً في الدنيا، ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؛ أي: كبائرُ الذنوب مثلُ: القتل، والزنا، والسرقة، حتى رُوِي عن ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب، ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾؛ أي الصغائر.

الذي يجتنب الكبائر؛ يُكفر الله - سبحانه وتعالى- عنه الصغائر، ويكفرها كذلك، يكفر الصغائر بالطاعات، أما الكبائر فلابد لها من توبة خاصة، ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾، ﴿نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا﴾؛ أي: طريقة إدخال، ﴿مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾؛ وهو: الجنة، ثم قال الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ من جهة الدنيا، هذا رئيس، وهذا مرءوس، هذا غني، وهذا فقير، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾؛ أي: ثواب، ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾؛ بسبب ما عملوه من الجهاد والنفقة، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾؛ أي: من أعمالهن، من حفظ الفروج، وطاعة الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ اسألوا الله - سبحانه وتعالى- ما تتمنوه من النعيم في الآخرة، ولا تتمنوا ما أعطاه الله - سبحانه وتعالى- لغيركم، فلا يجوز للرجل أن يتمنى ما أعطى الله - سبحانه وتعالى- المرأة، أو العكس.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾؛ ومن جملة علمه محلُ الفضل، ونحو ذلك.

والتمني على وجوه:-

الوجه الأول: أن يتمنى الإنسان أن يحصُل له ما لغيره، ويزول عن الغير، وهذا هو الحسد، وهو مُحرم.

الثاني: أن يتمنى ما لغيره، ولا يُحب زواله عن الغير، فهذا هو الغبطة، وهذا لا بأس به، يقول الحسن: لا تتمن مال فلان، ولا مال فلان، وما يدريك لعل هلاكك في ذلك المال.

الأمر الثالث: أن يتمنى ما لا يجوز، كأن تتمنى المرأة أن تكون رجلًا، أو العكس، فهذا لا يجوز، فالواجب على الإنسان أن يرضى بقضاء الله -سبحانه وتعالى-، وأن يؤدي ما أمره الله - سبحانه وتعالى- ليحصل على الأجر في الآخرة.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء:٣٣].

﴿وَلِكُلٍّ﴾؛ أي: من الرجال والنساء.

﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾؛أي: عصبة، ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾؛ الوالدان إذا تركا شيئًا من المال، أو الأقربون إذا تركوا شـــيئًا من المال، أي: بعد وفاتهم، فلهم موالي، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ عقدت أيمانكم أي: الحلف، وبعض أهل العلم يقول: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ كانوا في الجاهلية يتعاهدون عن النصـرة، والإرث، يقول: إن مِتْ، إن مات أحدنا، يرث أحدُنا الآخر، يتعاقدون على الإرث، هذا معنى ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ ﴿فَآتُوهُمْ نَصِـيبَهُمْ﴾؛ وهذا منســوخٌ بالفرائض، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾؛ أي مطلعٌ على كل شيء، ومنه حالكم، واليمين في القرآن على معانٍ منها:

المعنى الأول: اليمين أي: اليد اليمنى، العضـــو المعروف، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:١٧]؛ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [المعارج:١٩].

المعنى الثاني: جهة اليمين، قال تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [نوح:٣٧].

المعنى الثالث: اليمين بمعنى: القوة، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَـرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصـافات:٩٣]؛ وقال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة:٤٥].

المعنى الرابع: اليمين بمعنى: الحلف، قـال تعـالى: ﴿لَا يُؤَاخِـذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَـانِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥].

المعنى الخامس: اليمين بمعنى: العهد؛ ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ [التوبة:١٢]؛ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ [القلم:٣٩]؛ أي: عهود.

المعنى الأخير لليمين وهو: بمعنى: المِلْـك، ﴿وَمَـا مَلَكَـتْ يَمِينُـكَ مِمَّـا أَفَـاءَ اللَّهُ عَلَيْـكَ﴾ [الأحزاب:٥٠]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦].

تفسير سورة النساء (ص:٨٤) من الآية ٣٤-٣٧

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾؛ تنبيه: لا يصح في سبب نزل هذه الآية حديث، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾؛ أي مُسلِّطُون.

﴿عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ الله - سبحانه وتعالى- جعل القَوَامةَ للرجل؛ بسبب أنَّ الله - سبحانه وتعالى- أوجب على الرجل النفقة، وأوجب على الرجل أشياء لم يوجبها على المرأة، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؛ فضَّل الله - سبحانه وتعالى- الرجل على المرأة في الميراث، والغنيمة، والجمعة، والجماعات، والجهاد، وأسقطها عن النساء، فالمرأة إن عملت بما أمر الله - سبحانه وتعالى- تأخذ الدرجات العلى، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾؛ كذلك فُضِّل الرجلَ على المرأة؛ بسبب أنه ينفق على المرأة، فينفق المهر، والنفقة، والسُّكنى، ثم قال: ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾؛ من النساء العاملات بالخير، المحسنات إلى أزواجهن، ﴿قَانِتَاتٌ﴾؛ القنوت أي: الطاعة، طائعات لله، طائعات لأزواجهن، ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾؛ تحفظ فرجها، تحفظ الرجل إذا غاب عنها، ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾؛ أي: حيث أوصى الله - سبحانه وتعالى- الرجال على النساء، فهذا حفظ الله - سبحانه وتعالى- للنساء، قال: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾؛ ﴿تَخَافُونَ﴾؛ الخوف هنا بمعنى العلم، أي: اللاتي تعلمون، ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾؛ والنشوز هو عصيان المرأة، تمتنع المرأة عن الفراش، تمتنع المرأة عن طاعة الزوج، تتكبر عن حقوق الزوج عليها، ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾؛ هذه الأمر الأول: التخويف بالله - سبحانه وتعالى-، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾؛ الحالة الثانية، إذا لم تنفع الأولى؛

ننتقل إلى المرحلة الثانية؛ أي: اعتزلوا إلى فراش آخر، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾؛ ضربًا غير مُبرحٍ، وأحياناً المرأة تُضرب، وأحيانًا كذلك الرجل يُضرب، فالرجل الذي يتلفظ بألفاظ توجب حد القذف، فهو يُضرب، يُجلد ثمانين جلدة، ثم قال: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾؛ فيما يراد منهن، أقمن الواجبات، ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾؛ أي: ليس لكم طريقًا إلَّا القيام بالأمور التي ذكرها الله - سبحانه وتعالى-، يقول سفيان: لا تُكلّفها الحبَّ، لأن قلبها ليس بيدها، أي: هي ستقوم بالواجبات، أما الحب فقلبها مثل ما قال سفيان بن عنينه: ليس في يدها، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؛ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتم النساء، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-:، قبل أن ندخل في الآية التالية، الله - سبحانه وتعالى- ذكر الغيب، والغيب في القرآن على معانٍ منها:

المعنى الأول: الغيب بمعنى الوحي، قال تعالى في سورة التكوير، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير:٢٤]، أي: ببخيل.

الثاني: الغيب بمعنى: ما يحدث من أمور؛ وحوادث القدر، وما يحدث في المستقبل، ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ [الأعراف:١٨٨].

الأمر الثالث: الغيب بمعنى الظن، ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف:٢٢]؛ أي: رجمًا بالظن، ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [سبأ:٥٣]؛ أي: يقذفون بالظن.

المعنى الرابع: الغيب بمعنى حال الغيبة، ضد الحضور، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا﴾ [النساء:٣٤]؛ أي: لما غاب عنها الزوج، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف:٥٢]؛ أي: حال غيبته، والغيب نوعان: غيبٌ نسبي، وغيبٌ مطلق.

الغيب النسب: هو الذي يعلمه فلان، ولا يعلمه فلان، مثاله: لو أن شخصًا في بيت، والشخص الآخر في بيتٍ آخر، فلا يعلم الأول ما يفعله الثاني,ولا يعلم الثاني ما يفعله الأول في بيته،

أي: جاره لا يدري عنه شيئاً، فهو غيبٌ بالنسبة للجار، لكن بالنسبة له هو ليس بغيب، هذا هو: الغيب النسبي.

أما النوع الثاني الغيب المطلق: وهو الذي لا يعلمه إلا الله، مثل: متى يموت فلان، أين يموت فلان، نزول الغيث، والأمور التي ذكرها الله -سبحانه وتعالى- في سورة لقمان، ثم قال الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء:٣٥].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ الخوف بمعنى العلم. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾؛ خلاف بين الزوجين؛ فالعلاج القرآني هو: قال: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾؛ ابعثوا إلى الزوجين برضاهما.

﴿حَكَمًا﴾؛ أي: رجلاً عدلًا، ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾؛ أي: من أقارب الزوج.

﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾؛ ومن أقارب الزوجة، فيجتهدان في الجمع، أو التفريق إذا رأوا ذلك، ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾؛ إن يرد الحكمان، ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾؛ يوفق الله بينهما، أو إذا أراد الفراق، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء، ﴿خَبِيرًا﴾؛ ببواطن الأمور، وهذا العلاج هو العلاج القرآني، ولو أن الناس أخذوا بهذا العلاج؛ لخفَّت نسبة الطلاق، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ اعبدوا الله؛ أي: وحِّدُوه ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ هذا توكيد، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾؛ أي: وأحسنوا إلى الوالدين، ﴿إِحْسَانًا﴾؛ بكل ما تحمله كلمة الإحسان من: لين

الجانب، والهدية، والخدمة، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾؛ أي: الإحسان للقرابة، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾؛ أي: الجار القريب منك في الجوار، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾؛ الجُنب أي: البعيد عنك في الجوار، ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾؛ الجنب أي: رفيقك في السفر، أو رفيقك في عمل، وكذلك الزوج والزوجة، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾؛ المنقطع في سفره، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾؛ من الأرقاء، أي: أحسنوا إلى هؤلاء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾؛ أي: متكبرًا، ﴿فَخُورًا﴾؛ يفخر على الناس بما أعطاه الله - سبحانه وتعالى-.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء:٣٧].

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾؛ يبخلون بما يجب عليهم، يجب عليهم الإنفاق على الأولاد، يجب عليهم الزكاة،. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾؛ إذًا هو بخيل ويجمع مع ذلك أنَّه: يأمر بالبخل. ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ يكتمون العلم ويبخلون بالمال، ويدخل في ذلك اليهود لَمَّا كتَموا صفة النَّبي - صلى الله عليه وسلم- ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾؛ بهذا الأمر، بالكافر بالله، وبالنَّبي، وبالقرآن، ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾؛ أي: ذو إهانة.

تفسير سورة النساء (ص:٨٥) من الآية ٣٨-٤٥

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء:٣٨].

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾؛ هذا عطف على ما سبق ذكره، ذكر الله - سبحانه وتعالى- الذين يبخلون بأموالهم، ثم ذكر الله - سبحانه وتعالى- الذين ينفقون، لكنهم لا يؤمنون بالله، الذي ينفق وهو يرائي الناس: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾؛ يراءون بهذه النفقة الناسَ، وليست لأجل الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ ينفق وهو كافرٌ بالله، يُنكر اليوم الآخر، ما دمت تُنكر اليوم الآخر، لماذا تنفق؟! إذا كان منكرًا لليوم الآخر ما فائدة نفقته؟ الذي يؤمن بأن هناك يومًا آخر ينفق لأجل أن يحصل على الثواب في اليوم الآخر، في القيامة، أما الذي لا يؤمن بالقيامة!، هؤلاء الأصل أنهم لا ينفقون، ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾؛ أي: صاحباً له يعمل بأمره، فهؤلاء: ﴿فَسَاءَ﴾؛ أي: بئس، ﴿قَرِينًا﴾؛ وهو الشيطان، قال الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء:٣٩].

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ الذي يؤمن بالله هل ينقص من أعماله شيء في الدنيا؟ لا، الذي يؤمن بالآخرة؛ هل الإيمان بالآخرة يجعل ما تكتسبه في الدنيا ينقص؟ لا على العكس من ذلك، ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: لا ضرر عليهم؛ لو أنفق وهو يؤمن بالله، باليوم الآخر، أي: أي ضرر عليك إذا أنفقت، وأنت تطلب الأجر من الله - سبحانه وتعالى- في الآخرة؟ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾؛ فيجازيهم الله - سبحانه وتعالى- بأعمالهم يوم القيامة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ﴾؛ لا يظلم أحدًا، ﴿مِثْقَالَ﴾؛ أي: وزن، ﴿ذَرَّةٍ﴾؛ أي: أصغر من النملة، الله - سبحانه وتعالى- لا يُنقص من حسناتك، ولا يزيد في سيئاتك مثقال ذرة، ﴿وَإِنْ تَكُ﴾؛ هذه الذرة، ﴿حَسَنَةً﴾؛ من المؤمن، ﴿يُضَاعِفْهَا﴾؛ من عشر إلى أكثر من سبعمائة ضعف، ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾؛ أي: من عند الله - سبحانه وتعالى- مع المضاعفة، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ لا يقدره أحد، الذي قال: ﴿عَظِيمًا﴾؛ هو الله - سبحانه وتعالى-، وهو العظيم، فكلمة ﴿عَظِيمًا﴾؛ الذي قالها هو الله العظيم - سبحانه وتعالى-.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾؛ [النساء: ٤١].

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾؛ فكيف حال الكفار إذا: ﴿جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾؛ يشهد عليها بعملها، وهو نبيها، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾؛ يا محمد، ﴿عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾؛ والشهيد في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: النَّبي المبلغ، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾؛ وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود:١٨].

المعنى الثاني: الشهيد بمعنى: الملك الحافظ، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [الذاريات: ٢١].

المعنى الثالث: الشاهد الذي يشهد بالحق على شخص آخر، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢].

المعنى الرابع للشهيد: بمعنى: القتيل في المعركة في سبيل الله؛ ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء:٦٩].

المعنى الخامس: الشهيد بمعنى: الحاضر، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣]؛ شهداء بمعنى: حاضرون، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٢]، أي حاضراً، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢]، أي لا يحضرون الزور.

المعنى السادس: الشهيد بمعنى: الشريك، وهو: الصنم؛ ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢].

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ يوم القيامة، ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾، ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾؛ أي: بأن يكونوا ترابًا مثل الأرض؛ لعظم هول ما يشاهدون، كما قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ:٤٠]، نقف، ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾؛ نقف هنا، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ هذا استئناف كلام جديد، لا يكتمون الله حديثا مما عملوه في الدنيا، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٤٣].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾؛ أي: لا تُصلُّوا، ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾؛ من الخمر، سبب نزول هذه الآية؛ نزلت في صلاة الجماعة من الصحابة؛ صلوا في حال سُكْر، فقالوا: شيئًا لا ينبغي، فأنزل الله – سبحانه وتعالى–، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾؛ بأن تصحوا، وهذه الآية اقتضت إباحة السُكر في غير أوقات الصلاة، لكن نُسِخَت بعدُ بآيات تحريم الخمر، ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾؛ أي: ولا تقربوا أماكن الصلاة حال كونكم جُنباً.

﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾؛ أي: المجتاز يجوز له أن يدخل المسجد مجتازاً، وهو على جُنب ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾؛ أي: المجتاز يجوز، أما غير المجتاز، لابد أن يغتسل، أي: لا يجوز لك –إن كنت جُنُباً –أن تدخل المسجد إلا بعد أن تغتسل، ثم قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾؛ مرضاً يُضره الماء.

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾؛ مسافرين وأنتم على جنابة. ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾؛ أي: أحدث. ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾؛ المراد الجماع.

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾؛ تتطهرون به من الحدث الأصغر، والحدث الأكبر، بعد الطلب والتفتيش. ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾؛ اضربوا الأرض ضربة واحدة تمسحون به وجوهكم وأيديكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾؛ العَفُوُّ أي: الذي يصفح عن الذنوب. ﴿غَفُورًا﴾؛ يمحوا الذنوب،

ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾؛ أي: حظاً، ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ وهم اليهود، ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾؛ يستبدلون، أي: عندهم هدى، فيعطون الهدى، ويأخذون الضلالة، يشترون الضلالة مقابل الهدى الذي عندهم، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾؛ أي: تُخطِئوا طريق الحق، لتكونوا مثلهم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:٤٥].

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ الله أعلم منا بأعدائنا، فيخبرنا بأعدائنا لأجل أن نجتنبهم، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾؛ أي: حافظاً لكم من هؤلاء الأعداء، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾؛ أي: مانعاً لنا من كيدهم.

تفسير سورة النساء (ص:٨٦) من الآية ٤٦-٥٢

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٤٦].

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾؛ أي: من اليهود طائفةٌ، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾؛ يُحرفون أي يُغيرُون، ﴿الْكَلِمَ﴾؛ الكلام الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى- في التوراة من نَعت محمدٍ - صلى الله عليه وسلم-، إذًا ليس كل يهودي يُحرِّف الكلام.

قال: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾؛ سمعنا قولك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾؛ عصينا أمرك، كذلك يقولون: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾؛ هذه بمعنى الدعاء عليه، أسمع أي: لا سمِعتَ؛ فمعناها: دعاءٌ عليه بعدم السمع، ﴿وَرَاعِنَا﴾؛ يقولون: هذه كلها أقوال طائفة من اليهود، يقولونها للنبي -صلى الله عليه وسلم- راعِنا، وهذه الكلمة معناها بلغتهم سَبٌّ، لكن باللغة العربية ليست بِسبٍ.

﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾؛ تحريفاً باللسان؛ لهذه الكلمات السابقة، ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾؛ قدحاً في الدين أي: الإسلام، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ بدلاً من سمعنا وعصينا، وقالوا: اسمع فقط، بدلاً من أن يقولوا: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾؛ وكذلك ﴿وَانْظُرْنَا﴾؛ بدل راعنا، انظرنا أي: انظر إلينا، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾؛ مما قالوه، ﴿وَأَقْوَمَ﴾؛ أكثر عدلًا، ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾؛ أبعدهم الله - سبحانه وتعالى- عن رحمته بسبب كفرهم، ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فما آمن من اليهود إلا قليل كعبد الله بن سلام وأصحابه، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء:٤٧].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾؛ من القرآن.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾؛ في التوراة.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾؛ نمحو ما فيها من العين، والأنف، والحاجب. ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾؛ أي: نجعلها كالقفا، أي: لوحاً واحداً، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾؛ نَمسخُهم قرداً، ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾؛ أي: كما مسَخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾؛ من اليهود ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾؛ أي: قضاء الله - سبحانه وتعالى-، ﴿مَفْعُولًا﴾؛ لذلك لما نزلت هذه الآية أسلم عبد الله بن سلام، وجماعة من اليهود يقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي: ما سوى ذلك من الذنوب، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ من يشاء الله - سبحانه وتعالى- أن يغفر له؛ يغفر له ويُدخله الجنة، ومن شاء عذَّبه من المؤمنين بذنوبه، ثم يُدخله الجنة، فالله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ قوله: لمن يشاء تقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك؛ لا يُقطع له بالعداء لله، لأن الله قال: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ وإن مات مسلما، كذلك تفيد أن تعليقه بالمشيئة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ فيه دعوة للمسلمين، أن يكونوا على خوف وطمع، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا﴾؛ أي ذنبًا. ﴿عَظِيمًا﴾؛ أي كبيرًا.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾؛ وهم اليهود قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨]، المعنى ليس الأمر في تزكيتهم أنفسهم، ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾؛ أي: يُطهر. ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾؛ وذلك بالإيمان.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ لا يظلمون أي لا يُنقصون من أعمالهم. ﴿فَتِيلًا﴾؛ أي: قدر قشرة النواة، والظلم في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: الظلم المعروف، قال تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢]؛ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:٥٧]، وهذا هو الأصل.

المعنى الثاني للظلم في القرآن: بمعنى: الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، أي بشرك.

المعنى الثالث للظلم: بمعنى: النقص، قال تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ لا يُنقصون، وقال تعالى في سورة الكهف: ﴿آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [الكهف:٣٣]، أي: لم تنقُص.

المعنى الرابع: الظلم بمعنى: الجحود؛ قال تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٩]؛ أي يجحدون، كذلك قال الله – سبحانه وتعالى– في سورة الإسراء: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩]؛ أي جحدوها.

المعنى الخامس للظلم: الإضرار بالنفس، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]، أي يضرون بأنفسهم، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء:٥٠].

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ﴾؛ هذا من باب التعجب. ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾؛ بما سبق، يكذبون على الله. ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾؛ أي: بيناً، يكذبون على الله، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء:٥١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾؛ أُعطوا نصيباً من الكتاب، ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾؛ الجِبتُ هنا بمعنى: السِحر، والطاغوت أي: الشيطان والساحر.

والطاغوت هو: كل ما عُبِدَ من دون الله من حجر، أو شجر، أو صورة، أو شيطان فهو جبت، وهو كذلك طاغوت، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ هؤلاء اليهود يقولون لكفار قريش، يشيرون إلى كفار قريش، ويقولون للذين كفروا: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾؛ كفار قريش أهدى من أصحاب محمد سبيلاً. كيف هذا؟ أُناسٌ يعبدون الأصنام، وهؤلاء لا يعبدون الأصنام، فكيف يقول، هؤلاء اليهود: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء:٥٢].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ﴾؛ أي: ومن يلعنه الله - سبحانه وتعالى-، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾؛ أي مانعاً من عذاب الله - سبحانه وتعالى-.

تفسير سورة النساء (ص:٨٧) من الآية ٥٣-٥٩

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء:٥٣].

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾؛ لا زال الخطاب لليهود. ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾؛ هل لهم نصيبٌ من الملك؟ الجواب: ليس لهم شيءٌ من ذلك، ولو فُرض أن لهم نصيبٌ من الملك.

﴿فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾؛ لا يعطون الناس نقيراً، أي: لا يعطون الناس ولو شيئاً تافهاً، قدر النقرة في ظهر النواة، وهذا دليلٌ على فرطَ بخلِهم، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤].

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾؛ أم بمعني: بل، بل يحسدون الناس، المرَاد به النَّبي - صلى الله عليه وسلم- . ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ﴾؛ من النبوة، وما أعطاه الله - سبحانه وتعالى- من الفضائل، وأعظم ذلك القرآن الكريم.

﴿فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ وهو جده، جد محمد، وكذلك موسى، وداود وسليمان. ﴿آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ وكذلك النبوة. ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾؛ فكان لداود تسع وتسعون امرأة، وله مُلكٌ، فلماذا أي: يتكلمون على النَّبي - صلى الله عليه وسلم- في قضية النساء؟ ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥].

﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾؛ من اليهود من آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم-. ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾؛ صدَّ أي: أعرَضَ عنه، فلم يؤمن به. ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؛ أي: عذاباً لمن لم يؤمن.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾؛ أي: ندخلهم. ﴿نَارًا﴾؛ يحترقون فيها. ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾؛ أي: احترقت.

﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ تعاد إلى حالها الأول غير محترقة، العلة؟ ﴿لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾؛ فهذا دليل على أن الجلد هو مصدر الإحساس، وهذا إعجازٌ في القرآن الكريم.

﴿لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾؛ لا يعجزه شيء. ﴿حَكِيمًا﴾؛ في خلقة، ولما ذكر الله – سبحانه وتعالى– الكفارَ، وأهلَ النار، ذكرَ الفريق الآخر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلا﴾ [النساء:٥٧].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾؛ جمعوا بين الإيمان والعمل. ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾؛ يوم القيامة. ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا دخلوا فيها، يَخلُدون فيها أبداً.

﴿لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ من كل قذرٍ. ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلا﴾؛ أي: دائم بخلاف أهل النار، أما هؤلاء فهم في ظل ظليل، وأما الأولون فنصليهم ناراً تحرقهم، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ﴾؛ أي: ما ائتُمنتم عليه من الحقوق. ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾؛ هذه عامة، قالوا إنها نزلت في علي، لما أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي، والله أعلم بصحة هذه القصة، لكن الآية تدل على وجوب أداء الأمانات إلى أهلها، أي: إلى أصحابها. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ

النَّاسِ﴾؛ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾؛ أي: بالحق. ﴿إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا﴾؛ ما يعظكم، أي: نِعِمَ الذي ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾؛ - سبحانه وتعالى- به من تأديةِ الأمانةِ، والحكمِ بالعدل. ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾؛ لما يقال.

﴿بَصِيرًا﴾؛ بما يفعل، هذه إشارة إلى الحُكمِ بالعدلِ، وأداءِ الأمانةِ، فالحكُمُ بالعدل يُسمَعُ، والأمانةُ تُبصرُ، يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ [النساء:٥٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾؛ نزلت هذه الآية في أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- يقول: بعث الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم- علقمة، على بعث أنا فيهم، حتى انتهينا إلى رأس، أي: مكان ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش، وأمَّر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي -وكان من أصحاب بدر- وكان فيه دعابة، أي: مزاح، وكان ممن رجع معه، فنزلنا في بعض الطريق، قال: وأوقد القوم ناراً ليصنعوا عليها صنيعاً، ونحو ذلك، قال لهم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: فما أنا بآمركم بشيء إن صنعتموه؟ قالوا: بلي، قال: اعزموا عليكم بحقي وطاعتي أن تدخلوا هذه النار، فقام ناس فتعجلوا حتى ظنوا أنهم واثبون، فحبسوا أنفسهم، فضحك بعد ذلك، فالنَّبي - صلى الله عليه وسلم- قال، أمر النَّبي — صلى الله عليه وسلم- بمن أمركم بمعصية، فلا تطيعوه، والقصة أي: في مسند أحمد، وغيره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾؛ الولاة، إذا أمروكم بطاعة الله، وطاعة الرسول، أما إذا أمروا بمعصية، فلا سمع ولا طاعة. ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾؛ اختلفتم.

﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ﴾؛ أي إلى كتاب الله. ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ ردوه إلى الرسول، أي: مدة حياته، أما بعد وفاته، فإلى سنته.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾؛ أي: الرد إلى الله والرسول. ﴿خَيْرٌ﴾؛ لكم من التنازع، والقول بالرأي. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾؛ أي أحسن عاقبة ومآل، والتأويل في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: التأويل بمعنى: العاقبة، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف:٥٣]؛ أي: عاقبة أمرهم. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف:٥٣]؛ أي: العاقبة عاقبة ما وعد الله - سبحانه وتعالى-، ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]؛ أي: وقوع العذاب.

المعنى الثاني: التأويل بمعنى تعبير الرؤيا. ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:٦]، ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف:٣٦]، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:١٠١].

المعنى الثالث: التأويل بمعنى تحقق الشيء، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠]؛ أي: هذا تحقق رؤياي.

المعنى الرابع: التأويل بمعنى التفسير، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢].

تفسير سورة النساء (ص:٨٨) من الآية ٦٠-٦٥

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ هذه الآية نزلت لما اختصم يهودي ومنافق، فدعا المنافق كعبَ بن الأشرف ليحكم بينهما، وأما اليهودي فدعا النَّبيَ - صلى الله عليه وسلم-، فأتياه فقضى لليهودي، فلم يرضَ المنافق، يقول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾؛ أي هنا كعب بن الأشرف.

﴿وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾؛ أُمروا أن يكفروا بالذي يحكم بغير ما أنزل الله، ولا يوالونه.

﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾؛ أي بعيدًا عن الحق، والطاغوت كما قلنا كل معبود من شجر، أو شيطان وكل ما عُبد من دون الله - سبحانه وتعالى-، والطاغوت في القرآن على معانٍ منها:

المعنى الأول: الطاغوت أي: الأوثان، قال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]؛ أي الأصنام، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر:١٧]؛ أي الأوثان، الأصنام.

المعنى الثاني: الطاغوت أي الشيطان، قال تعالى: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٧٦]؛ أي في سبيل الشيطان، ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

المعنى الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، كما في الآية التي أمامنا، المراد بها كعب بن الأشرف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٦٠]؛ ليس معناه أن يتحاكموا إلى الطاغوت،

بمعنى الصنم، وإنما: يتحاكمون إلى من يحكم بغير ما أنزل الله، إذًا: الذي يحكم بغير ما أنزل الله هو طاغوت، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾؛ في القرآن من الحكم.

﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾؛ ليحكم بينكم. ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾؛ يعرضون. ﴿عَنكَ﴾؛ إلى غيرك.

﴿صُدُودًا﴾؛ هذا تأكيد، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

﴿فَكَيْفَ﴾؛ يصنعون. ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: عقوبة. ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ بسبب كفرهم، بسبب المعاصي، أفيقدرون على الإعراض، والفرار من المصائب، الجواب: لا.

﴿ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ﴾؛ إذا أصابتهم مصيبة. ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾؛ ما أردنا بالمحاكمة إلى غيرك. ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾؛ أي: صلحًا. ﴿وَتَوْفِيقًا﴾؛ أي: تأليفًا بين الخصمين، بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرّ الحق، وهذا دائماً المنافق الذي يدعي الإصلاح، ويدعي التوفيق، ويدعي الإحسان، يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ من النفاق، والكذب في أعذارهم. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ بالصفح عنهم. ﴿وَعِظْهُمْ﴾؛ خوفهم من الله - سبحانه وتعالى-. ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: في شأن

أنفسهم. ﴿قَوْلاً بَلِيغًا﴾؛ أي: مؤثراً فيهم، أي: ازجرهم لأجل أن يرجعوا عن الكفر، ثم قال الله – سبحانه وتعالى–:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾؛ ليطاع فيما يأمر به ويحكم، لم نرسل الرسل إلا لأجل أن يطاعوا، وما أنزل الله – سبحانه وتعالى– شرعه إلا لأجل أن يُحكم به في الأرض، لا لأجل أن يُعصى ويُخالف. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾؛ بتحاكمهم إلى الطاغوت. ﴿جَآؤُوكَ﴾؛ تائبين. ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا﴾؛ عليهم. ﴿رَّحِيمًا﴾؛ بهم، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾؛ هذه الآية نزلت في خصومة كانت بين الزبير وبين رجل من الأنصار، فالنَّبي – صلى الله عليه وسلم– حكم للزبير، فغضب الأنصاري، فقال يا رسول الله أن كان ابنَ عمتِك؟ – يقصد الزبير بن عمة النَّبي – صلى الله عليه وسلم–، فتلون وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، ثم قال للزبير اسق، فيقول الزبير فو الله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك، أخرجه البخاري، ومسلم. ﴿حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: فيما اختلط، فيما وقع النزاع بينهم. ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾؛ أي: ضيقًا، أو شكًّاً. ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾؛ مما قضيت به بينهم. ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾؛ أي: ينقادوا لحكمك. ﴿تَسْلِيمًا﴾؛ من غير معارضة.

تفسير سورة النساء (ص:٨٩) من الآية ٦٦-٧٤

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء:٦٦].

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: يقتل بعضُكم بعضاً. ﴿أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم﴾؛ كما كتبنا على بني إسرائيل. ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾؛ ما فعلوا الذي كُتب عليهم. ﴿إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾؛ طائفة قليلة. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ من طاعة النَّبي - صلى الله عليه وسلم-.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ وأسهل في العمل. ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾؛ أشد أي: أكثر تحقيقًا، لإيمانهم ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْراً عَظِيمًا﴾ [النساء:٦٧].

﴿وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُمْ﴾؛ أي: لو ثبتوا، وعملوا ما وصينا به. ﴿لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: من عندنا. ﴿أَجْراً عَظِيمًا﴾؛ وهو الجنة.

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٨].

﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: طريقًا مستقيمًا في الدين، يؤدي إلى الجنة، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾؛ من يطع الله، ويطع الرسول فيما أمر به. ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾؛ مرتبة عالية. ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾؛ أفاضل أصحاب الأنبياء سُمُّوا الصديقين لمبالغتهم في الصدق والتصديق.

﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾؛ القتلى في المعارك. ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾؛ غير ما ذُكر. ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾؛ أي: في الجنة، أي: يستمتع بها برؤيتهم، وزيارتهم، والحضور معهم، وإن كان أي: مقرهم في الدرجات العالية، لكن يأنسون بالحضور، والزيارة.

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠].

﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾؛ هذا كله تفضل الله – سبحانه وتعالى– به عليهم؛ لأنهم نالوه بطاعتهم، وإنما هو فضلٌ من الله. ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾؛ بثواب الآخرة، فثقوا بما أخبركم به؛ لأن الله – سبحانه وتعالى– قال: ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء:٧١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾؛ أي: من عدوكم، احترسوا منه، وتيقظوا له. ﴿فَانفِرُواْ﴾؛ أي: انهضوا إلى قتال العدو. ﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أي: متفرقين، سرية بعد سرية، جماعة بعد جماعة. ﴿أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾؛ أي مجتمعين، حسب ما تتطلبه المصلحة.

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٢].

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾؛ ليبطئن أي: لَيؤخِرنَّ عن القتال، مثل ما حصل لعبد الله بن أبي المنافق، جعلوا يتكلمون، ويفعلون أفعالاً، يُثبطُون بها المؤمنين، والمجاهدين. ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ من قتل وهزيمة. ﴿قَالَ﴾؛ هذا المنافق. ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾؛ شهيدا هنا: بمعنى حاضراً،أي:، لم أحضر، فأُقتلَ أو تُصيبَني الجراحات، أو أُهزَم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٣].

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ﴾؛ أي: مثل فتح وغنيمة. ﴿لَيَقُولَنَّ﴾؛ نادماً. ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾؛ أي: يقول هذا الكلام، يقول. ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؛ يقول الله – سبحانه وتعالى– ﴿كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾؛ كأن لم تكن بينكم وبينه عهود، أنه يخرج معكم، يقول هذا الكلام، أي: يتمنى، والواجب عليه أن يخرج. ﴿يَالَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؛ يقصد بالفوز هنا حظ وافر من الغنيمة، وإلا فالمنافق لا يهمه الأجر في الآخرة، يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٤].

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ أي: لإعلاء كلمة الله – سبحانه وتعالى–. ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾؛ يشرون أي: يبيع الدنيا، مقابل الآخرة. ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ﴾؛ يُستشهد. ﴿أَو يَغْلِبْ﴾؛ يظفر بعدو. ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ ثوابًا جزيلاً، والله – سبحانه وتعالى– يقول. ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ والذي وصف العظم، هو الله – سبحانه وتعالى– وهو الذي له ما في السماوات، وما في الأرض، والأجر في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: الأجر نفقة الرضاع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[الطلاق:٣].

المعنى الثاني: الأجر بمعنى المهر؛ ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:٢٥].

المعنى الثالث: الجُعل، تجعل مالاً لمن يعمل عملاً معيناً، تقول من فعل كذا فله كذا، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ:٤٧]؛ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [ص:٨٦]؛ أي: لا أريد منكم مقابلاً.

المعنى الرابع: الأجر بمعنى الثواب على الطاعة، مثل الآيات أمامنا وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٦].

المعنى الخامس: الأجر: الثناء الحسن، قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [العنكبوت:٢٧]؛ أي: ثناءً حسناً، وليس معناه أن الله يعطيه أجره في الدنيا، فليس له في الآخرة نصيب، وإنما المعنى أجره، أي: الثناء الحسن.

المعنى السادس: الأجر بمعنى الجنة، مثل ما يقول الله – سبحانه وتعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠]؛ الأجر العظيم أي: الثواب العظيم، ويدخله الجنة.

تفسير سورة النساء (ص:٩٠) من الآية ٧٥-٧٩

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥].

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ﴾؛ استفهام توبيخ، ما المانع لكم من القتال؟ ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ لإعلاء كلمة الله.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؛ أي: في سبيل تخليص المستضعفين. ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ﴾؛ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة، وآذوهم، ويقول ابن عباس - رضي الله عنه- كنت أنا وأمي من هؤلاء المستضعفين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾؛ يدعون الله - سبحانه وتعالى-.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾؛ أي مكة. ﴿مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾؛ بالكفر. ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: من عندك. ﴿وَلِيًّا﴾؛ أي: يتولى أمرنا. ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾؛ النصير أي: يمنعنا منهم، وقد استجاب الله - سبحانه وتعالى- دعاءهم، فيسر لبعضهم الخروج، وبقي بعضُهم إلى أن فُتِحت مكةُ، فأنصف المظلوم من ظالمه.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ لإعلاء كلمة الله. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾؛ لإعلاء كلمة الشيطان ﴿فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ﴾؛ أنصار دين الشيطان، النتيجة: تغلبوهم؛ لأن قوتكم بالله -سبحانه وتعالى-، أما هؤلاء فقوتهم بالشيطان، الذي قال الله - سبحانه وتعالى عنه- : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾؛ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾؛ أي: واهناً، واهياً، لا يقاوم كيدَ الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ [النساء:٧٧].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ﴾؛ عن قتال الكفار، لما طلبوه بمكة، طلبوا بعض المؤمنين، طلب القتال، قبل أن يفرض القتال، طلبوا القتال بسبب ما وجدوه من الأذى من الكفار. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾؛ فقط لا يجب عليكم، لا يجوز لكم القتال، استعينوا بالله. ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾؛ فُرض القتال.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾؛ يخافون الناس، أي: الكفار، يخافون عذابهم بالقتل. ﴿كَخَشْيَةِ اللّهِ﴾؛ أي: كخوف عذاب الله - سبحانه وتعالى-. ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾؛ من خشيتهم لله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَقَالُواْ﴾؛ جزعاً. ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ وهم قد طلبوا القتال قبل ذلك، قل لهم:. ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾؛ ما يتمتع بها، ويستمتع بها. ﴿قَلِيلٌ﴾؛ بالنسبة للآخرة، ونهايته إلى الفناء. ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾؛ الآخرة أي: الجنة، ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾؛ فهي خير وكثيرة، ودائمة، بخلاف الدنيا، قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾؛ لا تظلمون، أي: لا تنقصون من أعمالكم فتيلاً أي: شيئاً يسيراً، قدر قشرة النواة، فالواجب عليكم أن تجاهدوا، قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾؛ أي: في حصون. ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾؛ أي: مرتفعة، المعنى لا تخشوا القتال خوفاً من الموت، فالموت يأتي ولو كنت في حصون رفيعة مشددة. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: خصب، وسعة، ونعمة، وغنى، هؤلاء اليهود.

﴿يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ﴾؛ هؤلاء اليهود إذا أصيبوا بحسنة، يقولون الحسنة هنا بمعنى النعمة، والمال، والزروع. ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: جدب، وبلاء، كما حصل لهم، لما قدم النَّبي - صلى الله عليه وسلم- المدينة.

﴿يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: يتشاءمون بالنَّبي - صلى الله عليه وسلم-، ويقولون هذا بسبب محمد؛ لأنه لما أتى أُصبنَا بهذا البلاء. ﴿قُلْ﴾؛ قل لهم. ﴿كُلٌّ﴾؛ الحسنة والسيئة. ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾؛ هذا بأمر الله - سبحانه وتعالى-. ﴿فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾؛ الحديث الذي يلقى عليهم، لا يفهمونه، هذا من باب التعجب، لفرط جهلهم، قال الله - سبحانه وتعالى:

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩].

﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾؛ أيها الإنسان. ﴿ مِنْ حَسَنَةٍ﴾؛ ما أصابك من خير. ﴿فَمِنَ اللّهِ﴾؛ أي: أتتك هذه الحسنة؛ فضلٌ من الله. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾؛ بَلِّية، مُصيبة. ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ بسبب ما ارتكبته من الذنوب، فهذا ما يستوجبه ذنوبك. ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾؛ يا محمد. ﴿لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾؛ أي: يشهد على رسالتك، ويشهد على صدقك، والحسنة والسيئة في القرآن، لها معانٍ منها:

المعنى الأول: الحسنة بمعنى التوحيد، والسيئة بمعنى الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل:٩٠]؛ أي: الشرك، وقال تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل:٨٩]؛ أي: التوحيد. ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُون﴾ [النمل:٨٩]؛ أي: الذي يأتي بالتوحيد.

المعنى الثاني: الحسنة، بمعنى النصر والغنيمة، والسيئة بمعنى القتل والهزيمة، قال تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]؛ وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [آل عمران:١٢٠].

المعنى الثالث: الحسنة بمعنى: المطر والخصب، والسيئة بمعنى: القحط والجدب، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف:١٣١]؛ وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الأعراف:٩٥]؛ وقال تعالى: ﴿ويلوناهم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف:١٦٨].

المعنى الرابع: الحسنة بمعنى: العافية، والسيئة: بمعنى البلاء. ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد:٦].

المعنى الخامس: الحسنة بمعنى: قول المعروف، والسيئة بمعنى قول المنكر، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد:٢٢]؛ وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت:٣٤].

المعنى السادس: الحسنة فعل: نوع من الخير، والسيئة فعل نوع من الشر. ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

تفسير سورة النساء (ص:٩١) من الآية ٨٠-٨٦

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠].

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾؛ لأن الله أمر بطاعة الرسول. ﴿وَمَن تَوَلَّى﴾؛ ومن أعرض عن طاعتك يا محمد، فلا تهتم به. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ لم نرسلك يا محمد حافظاً لأعمالهم، بل أرسلناك نذيراً لهم، وأما أمرهم فإلى الله - سبحانه وتعالى- يجازيهم يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلا﴾ [النساء:٨١].

﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: المنافقون، يقولون إذا جاءوك. ﴿طَاعَةٌ﴾؛ أي: أمرنا طاعة، أي: نطيعك طاعة لك. ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ﴾؛ أي: خرجوا. ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أضمرت طائفة منهم. ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾؛ لك في حضورك من الطاعة، أي: أضمروا عصيانك. ﴿وَاللّهُ يَكْتُبُ﴾؛ أي: يأمر بكتابة. ﴿وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ يكتبه، يأمر بكتابته في صحائف أعمالهم، ليجازيهم عليهم. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ بالصفح. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾؛ ثق بالله - سبحانه وتعالى-، فإنه كافيك. ﴿وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلا﴾؛ أي: مُفوضاً إليه الأمور.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾؛ أفلا يتأملون القرآن، وما فيه من المعاني البديعة. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾؛ أي: تناقضاً كثيراً، تناقضاً في المعاني، تبايناً في النظم، والأسلوب.

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [النساء:٨٣].

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ﴾؛ النَّبي – صلى الله عليه وسلم– لما أعتزل نساءه، دخل عمر المسجد، فسمع الناس يقولون طلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم– نساءه، فدخل على النَّبي – صلى الله عليه وسلم– ، فسأله أطلقت نساءك؟ قال: لا، فخرج عمر فنادي، ألا رسول الله لم يطلق نساءه، فأنزل الله – سبحانه وتعالى– هذه الآية.

﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾؛ كذلك يدخل في هذا سرايا النَّبي في أمر الجهاد. ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ﴾؛ عن سرايا النَّبي بما حصل لهم، سواءً بالأمن أي: النصر، أو الخوف أي: الهزيمة، ﴿أَذَاعُواْ بِهِ﴾؛ أفشوه. ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾؛ أي: الخبر. ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ﴾؛ ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عن هذا الأمر حتى يُخبَروا به.

﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: هل هذا الأمر مما ينبغي أن يُذاع، أم مما لا ينبغي أن يذاع. ﴿يَسْتَنبِطُونَهُ﴾؛ أي يتبعونه، ويطلبون علمه. ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ بالإسلام. ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾؛ لكم بالقرآن. ﴿لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾؛ فيما يأمركم به من الفواحش. ﴿إِلاَّ قَلِيلا﴾؛ إلا طائفةً منكم.

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلا﴾ [النساء:٨٤].

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ يا محمد قاتل في سبيل الله. ﴿لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ﴾؛ لا تهتم بتخلفهم عنك، أي: قاتل، ولو لوحدك، فإنك موعودٌ بالنصر. ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ حُثهم على القتال، ورغِبهم فيه.

﴿عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ﴾؛ بأس أي: حرب الذين كفروا. ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾؛ من الكفار. ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلا﴾؛ أي: تعذيباً منهم، الله – سبحانه وتعالى– قال في الآية: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾؛ السبيل في القرآن لها معانٍ منها:

المعنى الأول: السبيل بمعنى: الطاعة، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة:١٩٥].

المعنى الثاني: السبيل بمعنى: البلاغ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران:٩٧]؛ أي: بلاغاً.

المعنى الثالث: السبيل: بمعنى المخرج. ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلا﴾ [النساء:١٥]؛ أي: مخرجاً. ﴿فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ [الإسراء:٤٨]؛ أي: مخرجاً.

المعنى الرابع: السبيل بمعنى: الدِّين، قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥]؛ أي: غير دِين المؤمنين. ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٢٥]؛ أي دِين ربك.

المعنى الخامس: السبيل: بمعنى الطريق، قال تعالى: ﴿عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢]؛ أي: الطريق.

المعنى السادس: السبيل بمعنى: الحجة. ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء:١٤١]؛ أي: حُجَّة. ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا﴾ [النساء:٩٠]؛ أي: حُجَّة.

المعنى السابع: السبيل بمعنى: الإثم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥]؛ أي: إثم، قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١]؛ أي من: إثم. قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

﴿مَّن يَشْفَعْ﴾؛ بين الناس، ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾؛ أي: موافقة للشرع، ليس فيها ظلمٌ لأحد، ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ﴾؛ من الأجر. ﴿مِّنْهَا﴾؛ أي: بسبب هذه الشفاعة. ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾؛ مخالفة

للشرع، وفيها ظلم. ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾؛أي: نصيبٌ من الإثم. ﴿مِّنْهَا﴾؛ أي: بسببها. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾؛ أي: مقتدراً، فيُجازِي كلَ أحدٍ بما عملَ.

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ﴾؛ كأن قيل لكم: السلامٌ عليكم. ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾؛ بأن تقولوا له: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾؛ بأن تقولوا له، كما قال وعليكم السلام، والأول أفضل. ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾؛ محاسبًا، فيجازي عليه.

تفسير سورة النساء (ص:٩٢) من الآية ٨٧-٩١

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لا إله، أي: لا معبود بحق ﴿إِلَّا هُوَ﴾؛ إلا الله سبحانه وتعالى. ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾؛ من قبوركم. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛ إلى هنا بمعنى: في، أي: ليجمعنكم من قبوركم في يوم القيامة. ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ لا شك فيه. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾؛ أي: لا أحد أصدق. ﴿مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾؛ أي قولاً. ويقول الله - سبحانه وتعالى-:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء:٨٨].

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؛ الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أُحد رجع ناسٌ ممن خرج معه، فافترق فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرقتين, فرقةٌ تقول: نقتل الذين رجعوا، وفرقة تقول: لا نقتلهم؛ فأنزل الله - سبحانه وتعالى- هذه الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾؛ أي: ما شأنكم صِرتم. ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾؛ الذين رجعوا ولم يقاتلوا معكم ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ فرقتين. ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾؛ أي: ردهم. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: ردّهم عن الذهاب معكم. ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾؛ بسبب كفرهم ومعاصيهم. ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾؛ الجواب: أي: هذا استفهام للإنكار، ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾؛ من يضلله الله - سبحانه وتعالى-. ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء:٨٩].

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾؛ ودوا أي: تمنُّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾؛ أنتم وهم. ﴿سَوَاءً﴾؛ أي: في الكفر. ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾؛ لا توالوهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ هجرة صحيحة تُحقِّق إيمانهم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾؛ وأقاموا على ما هم عليه. ﴿فَخُذُوهُمْ﴾؛ بالأسر. ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾؛ ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾؛ توالونه، ﴿وَلا نَصِيرًا﴾؛ تنتصرون به على عدوكم. الله – سبحانه وتعالى– قال: ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ الهجرة على أنواع:

النوع الأول: هجرة واجبة: وهي في حق الذي لا يقدر على إظهار الإسلام في دار الحرب ويخاف على نفسه وهو قادرٌ على الهجرة، فالهجرة واجبة عليه حتى يستطيع إقامة دينه.

النوع الثاني: من لا تجب عليه الهجرة بل تستحب له، وهو: من كان قادراً على إظهار دينه في دار الكفر.

الثالث: من لا تستحب له وهو الضعيف الذي لا يقدر على إظهار دينه أو الحركة مثل الشيخ الكبير، فلا تستحق له؛ للحوق المشقة.

الله – سبحانه وتعالى– قال: ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء:٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾؛ الولي له معان:

المعنى الأول: الولي بمعنى: الرب؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾؛ [الأنعام:١٤]؛ أي: رباً.

المعنى الثاني: الولي بمعنى: الناصر؛ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾؛ [الإسراء:١١١].

المعنى الثالث: الولد. قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾؛ [مريم:٥]

المعنى الرابع: الوثن. قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾؛ [العنكبوت:٤١]؛ أي: أوثاناً.

المعنى الخامس: المانع. قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ [البقرة:٢٥٧]؛ أي: يمنعهم. قال الله – سبحانه وتعالى– لما بيَّن الهجرة، قال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾؛ إلا الذين يصلون أي: يلجئون. ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾؛ أي: بينكم وبينهم عهد بالأمان لهم، وبمن وصل إليهم. ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ﴾؛ أي: ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾؛ مع قومكم، هؤلاء في دار الحرب لكن ضاقت صدورهم أن يقاتلوكم مع أقوامهم.

﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾؛ فيستطيعون يقاتلون معكم ضد قومهم، فهم يمسكون عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرضوا لهم لا بأسر ولا بقتل، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾؛ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾؛ بأن يقويَ قلوبهم. ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾؛ يقاتلونكم، ولكن الله – سبحانه وتعالى– لم يشأ ذلك، فألقى الله – سبحانه وتعالى– في قلوبهم الرعب. ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾؛ السلم أي: الصلح أي: انقادوا للصلح. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقًا لا يجوز لكم أخذهم بالأسر أو القتل، قال الله – سبحانه وتعالى–:

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٩١].

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾؛ بإظهار الإيمان عندكم، ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾؛ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم قبائل، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾؛ دعوا إلى الشرك. ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾؛ أي: وقعوا أشد الوقوع في الشر.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾؛ بترك قتالكم. ﴿وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾؛ ولم يلقوا إليكم السلم أي: الصلح، ﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: ولم يكفوا أيديهم أي: ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ﴾؛ ﴿فَخُذُوهُمْ﴾؛ الأخذ هنا الأسر، ﴿فَخُذُوهُمْ﴾؛ بالأسر. ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: حيث وجدتموهم. ﴿وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾؛ أي: حُجةٌ وبرهانٌ بَيِّنٌ على قتلهم وعلى سَبيهِم بسبب غدرهم.

تفسير سورة النساء (ص:٩٣) من الآية ٩٢-٩٤

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾؛ تنبيه: لا يصح في سبب نزول هذه الآية شيء. أي: لا ينبغي أن يصدر منه قتلٌ لمؤمنٍ آخر. ﴿إِلَّا خَطَأً﴾؛ أي مُخطِئًا في قتله، أي: من غير عمدٍ، والخطأ في القرآن على معانٍ منها:

المعنى الأول: الخطأ بمعنى: الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:٨]، وقال تعالى: ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:٣٧]، الخطأ هنا بمعنى: الشرك.

المعنى الثاني: الخطأ بمعنى: الذنب الذي ليس بشرك، قال تعالى: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٩٧].

المعنى الثالث: ما لم يتعمده الإنسان؛ ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾؛ [النساء:٩٢].

يقول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾؛ بأن قصد أن يرمي طيراً فأصاب المؤمن، أو ضربه بما لا يقتل غالباً فمات، الحكم: قال: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ تحرير: أي عتق. ﴿رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: عليه رقبة مؤمنة. وكذلك ﴿وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾؛ أي: مؤداة.

﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾؛ أي: إلى ورثة المقتول. ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾؛ أي: يتصدقوا عليه بأن يعفوا عنه، وبينت السُّنة أن الدية: مائة من الإبل، على تفصيلٍ في الفقر، ﴿فَإِنْ كَانَ﴾؛ أي: المقتول. ﴿مِنْ قَوْمٍ

﴿عَدُوٍّ لَكُمْ﴾؛ أي: عدوُ حربٍ بينكم وبينهم حربٌ، وهذا الشخص المقتول خطأً من هؤلاء القوم الأعداء. ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ يعيش معهم؛ الحكم: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾؛ وهل هناك دية، ليس هناك دية، لأن أهله هنا يُحاربوننا فقد يأخذون هذه الأموال يقاتلوننا بها. قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ﴾؛ هذه الحالة الثالثة، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾؛ أي: عهدٌ كأهل الذمة. ﴿فَدِيَةٌ﴾؛ دية له.

﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾؛ وهي ثلث دية المؤمن، على تفصيل في الفقر، ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾؛ على القاتل. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾؛ الرقبة فإن فقد الرقبة. ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾؛ والله – سبحانه وتعالى– لم يذكر هنا الإطعام. ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾؛ يقول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ بخلقه. ﴿حَكِيمًا﴾؛ فيما دبَّره لهم.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾؛ [النساء:٩٣]

ثم قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾؛ أي أن يقصد قتله، أو يقتله بما يغلب على الظن قتلُه به. ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾؛ لعنه هنا بمعنى أبعده من رحمته. ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾؛ في النار.

وهذا في حق من لم يتب، لأن الله – سبحانه وتعالى– قال: لما ذكر القتل والزنا وكبائر الذنوب في سورة الفرقان قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]، لو أن مؤمناً قتل مؤمناً ثم أرتد وكفر، وخرج إلى الكفر، ثم بعد ذلك أسلم، أو رجل كافر قتل مؤمناً ثم بعد ذلك أسلم؛ فالتوبة تجب ما قبلها، بمعنى أنه هل يخلد في النار. نقول: لا يخلد في النار، إذًا الآية هذه مخصوصة بالذي لم يتب، وكذلك الذي استحل القتل، أما الذي تاب فيخرج

بالآية السابقة، أما الذي لم يتب ويستحل قتل المؤمن هذا هو الذي يخلد في جهنم. يقول الله – سبحانه وتعالى–:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ النَّبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيها المقداد ابن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوا أنهم قد تفرقوا وبقي رجلٌ له مالٌ لم يذهب مع قومه؛ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال المقداد: قالها تعوذاً، فأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله!، لأذكرنَّ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما قدموا على النَّبي قالوا له: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: «**ادعوا ليا المقداد**»، فقال: «**يا مقداد أقتلت رجلاً قال لا إله إلا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدا**»، فأنزل الله – سبحانه وتعالى– هذه الآية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: سافرتم للجهاد ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾؛ وفي قراءة أخرى: فتثبتُوا، ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ﴾؛ لأن هذه الكلمة تدل على الانقياد، لأن فيها كذلك الشهادة، أي: هذه دلالةٌ وأمارةٌ على الإسلام.

﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾؛ تقولون له: لست مؤمناً إنَّما قلت هذا تُقيَةً، فقال: ﴿تَبْتَغُونَ﴾؛ تقتلونه تطلبون ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ أي: متاعها من الغنيمة. ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾؛ تغنيكم عن قتل مثل هذا الرجل لأجل ماله. ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾؛ قبل أن تُعصَم دماؤكم وأموالكم بالشهادة فكذلك أنتم. ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ بالاشتهار بالإيمان

وبالاستقامة. ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾؛ أي: تثبتوا لا تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ فيجازيكم به يوم القيامة.

تفسير سورة النساء (ص:٩٤) من الآية ٩٥-١٠١

﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥].

﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾؛ قال زيد بن ثابت: "إني لقاعدٌ إلى جنب رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، إذ غشيته السكينة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال: اكتب، «**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون**». ليس فيها ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾؛ «**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**»، إلى آخر الآية، فقام ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول، ابن أم مكتوم أعمى، فقال: يا رسول الله، فكيف بمن لا يستطيع الجهاد؟ فوالله، يقول زيد فوالله ما قضى كلامه حتى غشيت رسول الله السكينة، ثم سُرِّيَ عنه، فقال اقرأ، فقرأت: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين، والمجاهدون"، الآية بدون كلمة: ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾؛ فقال: -النَّبي صلى الله عليه وسلم- : ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾؛ فيقول زيد: فألحقتها، يقول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾؛ عن الجهاد من المؤمنين. ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾؛ أي: غير أولى الضرر، مثل الأعمى، مثل كبير السن. ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ القاعد من غير ضرر، لا يستوي بمن يجاهد في سبيل الله. ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ لضرر. ﴿دَرَجَةً﴾؛ أي: فضيلة بسيطة، فضل الله المجاهد على القاعد لضرر درجة، فضيلة؛ لأنهم استووا في النية، لكن زاد المجاهدون بالمباشرة بالقتال.

﴿وَكُلاًّ﴾؛ من الفريقين. ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى﴾؛ ثم ذكر القسم الآخر، قال. ﴿وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ القاعدين لغير ضرر، قاعد من غير عذر. قال: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أما

القاعد لضرر، وقد فضَّلَ المجاهدَ على القاعد لضررٍ درجةً، وفضَّل اللهُ المجاهدَ على القاعد لغير عذر.

﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ يقول الله – سبحانه وتعالى–.

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦].

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾؛ هذا الأجر، والدرجات، أي: منازل، بعضها فوق بعض من الكرامة. ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾؛ من الله – سبحانه وتعالى–. ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾؛ لأوليائه. ﴿رَّحِيمًا﴾؛ بأهل طاعته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ﴾؛ هذه الآية نزلت في جماعة، أسلموا ولم يهاجروا، بقوا في مكة، فقاتلوا يوم بدر مع الكفار ضد المؤمنين. ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾؛ بالمقام مع الكفار، وترك الهجرة، والقتال معهم. ﴿قَالُواْ﴾؛ لهم مُوبِّخِينَ.

﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾؛ في أي شيء كنتم؟! في أمر دينكم، هل مع المشركين، أو مع المؤمنين؟ ﴿قَالُواْ﴾؛ معتذرين. ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾؛ عاجزين عن إقامة الدين، ﴿فِي الأَرْضِ﴾؛ أي المراد الأرض هنا مكة. ﴿قَالْوَاْ﴾؛ لهم توبيخاً. ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾؛ تهاجروا من أرض الكفر إلى بلاد آخر، كما فعل غيركم، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾؛ ثم استثنى، قال.

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ [النساء:٩٨].

﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: الذين لا يستطيعون حيلة، لا قوة لهم على الهجرة، ولا نفقة. ﴿وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾؛ لا يهتدون إلى طريق الهجرة، هم معذورون.

﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٩].

﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾؛ بسبب عذرهم. ﴿وَكَانَ اللّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾؛ يتجاوز عنهم.

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾؛ أي: مهاجر، بلاد كثيرة. ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾؛ في الرزق. ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ﴾؛ منفرداً. ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾؛ في الطريق، كما وقع لبعض الصحابة. ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾؛ ثبت أجره على الله. ﴿وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٠١].

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾؛ ضربتم أي سافرتم في الأرض. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ﴾؛ أي: في أن تقصروا من الصلاة، أن تجعلوا، من أربع إلى اثنتين. ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾؛ أي: ينالكم بمكروه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ قال يعلى بن أمية، قلت لعمر بن الخطاب عجبت من قَصْرِ الناس اليوم، وقد أمنوا وإنما قال الله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾؛ فقال عمر عجبتُ مما عجبتَ منه، فذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم–، فقال: «**صدقةٌ تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته**»، قال الله – سبحانه وتعالى– : ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾؛ أي: بيني العداوة، الله – سبحانه وتعالى– قال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؛ الجناح في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: جناح الطائر. ﴿وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام:٣٨]؛ ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر:١].

المعنى الثاني: الجانب. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]؛ ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء:٢٤]؛ أي: جانب، هذا المعنى الثاني.

المعنى الثالث: للجناح أي: الإثم. ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة:٢٣٥]؛ والآية التي معنا. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء:١٠١]؛ أي: إثم.

تفسير سورة النساء (ص:٩٥) من الآية ١٠٢-١٠٥

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٠٢].

﴿وَإِذَا كُنتَ﴾؛ يا محمد حاضراً. ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾؛ وأنتم تخافون العدو، والخطاب هنا للنبي - صلى الله عليه وسلم- ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾؛ يا محمد، ولا يدل هذا الخطابُ على أنَّ الحكمَ محصورٌ على النَّبي - صلى الله عليه وسلم-، فهو كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[التوبة:١٠٣]؛ قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾؛ يقسم الجيش إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: تقوم تصلي مع النَّبي - صلى الله عليه وسلم-.

والطائفة الثانية: تتأخر لتحرس.

الطائفة التي تصلي، قال: ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ﴾؛ الطائفة التي تصلي معك. ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ يأخذونها، يأخذوا أسلحتهم معهم. ﴿فَإِذَا سَجَدُواْ﴾؛ أي: بدءوا بالصلاة. ﴿فَلْيَكُونُواْ﴾؛ أي: الطائفة الثانية. ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾؛ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، فإذا قضيت الصلاة تذهب هذه الطائفة التي كانت تصلي وتسلم، والنَّبي واقف، ثم تذهب للحراسة، وتأتي الطائفة التي كانت تحرس، وتدخل مع النَّبي - صلى الله عليه وسلم-، والنَّبي ينتظرهم، يصلي ركعتين في الطائفة الأولى، ثم يقوم وينتظر، ثم تسلم الطائفة الأولى، فالطائفة الثانية تأتي، والنَّبي صلى الله عليه وسلم واقفٌ ينتظرهم، فيصلي

النَّبي صلى الله عليه وسلم بالطائفة الأولى ركعتين، وبالطائفة الثانية ركعتين، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ﴾؛ أي: يحرسون، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى﴾؛ التي كانت تحرس. ﴿ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ هذا تأكيد إلى أن تُقضى الصلاة، والنَّبي –صلى الله عليه وسلم– فعل هذه الكيفية في ببطن نخل، كما رواه البخاري، ومسلم. ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾؛ أي: لو تغفلون إذا قمتم إلى الصلاة. ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾؛ فلا تحملونها. ﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾؛ وهذا هو علة الأمر بأخذ السلاح، حتى لا يأخذ الكفار المسلمين على حين غرة، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾؛ فلا تحملوها، قال الله –سبحانه وتعالى–: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾؛ في جميع أحوالكم من العدو، خذوا حذركم ما استطعتم. ﴿إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛ أي: أعد للكافرين عذاباً ذا إهانة، يقول الله – سبحانه وتعالى–.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ﴾؛ فرغتم منها. ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾؛ بالتهليل، والتسبيح. ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: مضطجعين، أي على كل حال. ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾؛ أي: أمنتم.

﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾؛ أدوا الصلاة بحقوقها، ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾؛ أي: مكتوبا، أي: مفروضاً. ﴿مَّوْقُوتًا﴾؛ أي: مقدراً بوقت، فلا يجوز تأخيرها عن وقتها، قال الله – سبحانه وتعالى– : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ﴾؛ القضاء في القرآن على معان منها:

المعنى الأول: القضاء بمعنى الأمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]؛ قضى بمعنى: أمر.

المعنى الثاني: للقضاء، بمعنى: الخبر. ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء:٤]؛ أخبرنا.

المعنى الثالث: القضاء بمعنى: الفراغ. ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البقرة:٢٠٠]؛ والآية التي معنا: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ﴾ [النساء:١٠٣]؛ ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩].

المعنى الرابع: للقضاء بمعنى: الفعل، قال تعالى: ﴿لِّيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال:٤٢]؛ ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢].

المعنى الخامس: القضاء بمعنى: التمام، قال تعالى: ﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص:٢٨]؛ أي: أتمَمت. ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ [القصص:٢٩]؛ أي: أتم الأجل. ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام:٦٠].

المعنى السادس: القضاء بمعنى: الفصل، قال تعالى: ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٥٨]؛ ﴿فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [يونس:٤٧].

المعنى السابع: القضاء بمعنى: الخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:١٢]؛ أي: خلقهن سبع سماوات في يومين.

المعنى الثامن: القضاء بمعنى:الوصية. ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤]؛ أي: أوصينا موسى، يقول الله – سبحانه وتعالى–.

﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ﴾؛ لما بعث النَّبي صلى الله عليه وسلم طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه، فرجعوا من أُحد فشكوا الجراحات، فأنزل الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ﴾؛ أي: لا تضعفوا. ﴿فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ﴾؛ في طلب القوم، أي الكفار لتقاتلوهم.

﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾؛ تجدون ألم الجراح. ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ﴾؛ أي مثلكم، ولا يجبنون على قتالكم. ﴿وَتَرْجُونَ﴾؛ أنتم. ﴿مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾؛ ترجون النصر، والثواب. ﴿مَا لاَ يَرْجُونَ﴾؛ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم في القتال. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾؛ بكل شيء. ﴿حَكِيمًا﴾؛ في صنعه وتدبيره، يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ لما سرق طُعمَه، - وهذا رجل في عهد النَّبي - صلى الله عليه وسلم- ، سرق درعاً، وخبأه عند يهودي، فوجده عنده، فرماه طُعمه بها، أي: اتهمه، وحلف أنه ما سرقها، إذًا الذي سرقها طعمه، واتهم من؟ اتهم اليهودي، فسأل قوم طعمه، النَّبي - صلى الله عليه وسلم- أن يجادل عن طُعمه، ويدافع عنه، ويبرئه، فأنزل الله - سبحانه وتعالى- هذه الآية، وما بعدها تعليقًا على هذه القصة. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أي القرآن. ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: فيه حق، ونزوله حق. ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾؛ أي بما أعلمك. ﴿بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾؛ لا تكن للخائن، كطُعمه هذا الرجل الذي سَرقَ. ﴿خَصِيمًا﴾؛ مخاصمًا عنه، لا يجوز لأحد أن يخاصم عن أحد في إثبات حقٍ، أو نفي وهو غير عالمٍ بحقيقة أمره؛ لأن الله - سبحانه وتعالى- عاتب نبيه على مثل هذا.

تفسير سورة النساء (ص:٩٦) من الآية ١٠٦-١١٣

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦].

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ﴾؛ يا محمد، إذا كنت قد هممت بأن تكون مع طُعمه، ومع قومه في أن تجادل عن الذين يختانون أنفسهم. ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾؛ لمن تاب. ﴿رَّحِيمًا﴾؛ بهم.

﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧].

﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: يخونون أنفسهم بالمعاصي، لماذا سميت المعصية خيانة للنفس؟ لأن وبال هذه المعصية عليهم، والعذابُ عليهم. ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾؛ كثير الخيانة. ﴿أَثِيمًا﴾؛ كثير الإثم، بمعنى: أنَّ الله - سبحانه وتعالى- لا يحبه، وكذلك سيعاقبه في الآخرة، يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ طعمة وقومه. ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾؛ حياءً ﴿مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: إذ يضمرون. ﴿مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾؛ لأنهم عزموا على الحلف، على نفي السرقة، ورمي اليهودي بها. ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾؛ فهذا من باب التهديد لهم، فعلمه أحاط بكل شيء، ومن ذلك ما فعله طعمه وقومه؛ فهذا من باب التهديد، قال الله - سبحانه وتعالى-

.

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ [النساء:١٠٩].

﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلاء﴾؛ خطاب لقوم طعمه.

﴿جَادَلْتُمْ﴾؛ خاصمتم. ﴿عَنْهُمْ﴾؛ أي: عن طعمه وذويه. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ إذا عذبهم.

﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾؛ أي: عليهم، أي: لهم وكيلا، يتولى أمرهم، ويجُب عنهم، الجواب: لا أحد، قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً﴾؛ أي: ذنباً، يسوءُ به غيرَه، مثلَ ما فعل طعمه باليهودي. ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾؛ يعمل ذنباً قاصراً عليه. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ﴾؛ يتوب إلى الله - سبحانه وتعالى-. ﴿يَجِدِ اللهَ غَفُوراً﴾؛ له. ﴿رَّحِيمًا﴾؛ به.

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١١].

﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾؛ أي: ذنبا. ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾؛ كما قلنا؛ لأن وبال هذا الإثم عليه، ولا يضر غيره. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾؛ بكل شيء. ﴿حَكِيمًا﴾؛ في صنعه، وتدبيره.

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٢].

﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾؛ الخطيئةُ: قيل: هي التي تقع عن عمد، وتقع عن خطأ. ﴿أَوْ إِثْمًا﴾؛ الإثم: يختص بالعمد. ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾؛ يرمي به بريئاً من هذه الخطيئة، والإثم. ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾؛ أي: تحمَّل. ﴿بُهْتَانًا﴾؛ بسبب رميه. ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ بينًا؛ لأنه أكتسب هذا الإثم، ووبال هذا الرمي عليه يوم القيامة، يحاسبه الله - سبحانه وتعالى- عليه.

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ يا محمد. ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾؛ بالعصمة. ﴿لَهَمَّت﴾؛ أي: أضمرت. ﴿طَّآئِفَةٌ مُّنْهُمْ﴾؛ أي: من قوم طُعمَه. ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾؛ يضلوك عن القضاء بالحق، يُلبِسُون عليك. ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾؛ لماذا؟ لأنَّ وبالَ إضلالهم عليهم. ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾؛ أي القرآن. ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾؛ ما فيه من الأحكام والغيب. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾؛ من علم الآخرين. ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾؛ بهذا القرآن، وبالعلم، والحكمة، وغيره. والحكمة في القرآن لها معانٍ منها:

المعنى الأول: الحكمة بمعنى: الموعظة، قال تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر:٥].

المعنى الثاني: الحكمة بمعنى: السنة، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢].

المعنى الثالث: الحكمة بمعنى: الفهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

المعنى الرابع: الحكمة بمعنى: النبوة. ﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٥١]؛ أي النبوة.

تفسير سورة النساء (ص:٩٧) من الآية ١١٤-١٢١

﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾؛ أي: نجوى الناس، ما يتناجون فيه، ويتحدثون. ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ﴾؛ أي: إلا بنجوى. ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾؛ عمل بر. ﴿أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾؛ فهذ النجوى: هي التي فيها خير.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ المذكور. ﴿ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ﴾؛ لا لغيره من أمور الدنيا. ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾؛ أي: يعطيه الله - سبحانه وتعالى-. ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ﴾؛ يشاقق، أي: يخالف. ﴿الرَّسُولَ﴾؛ فيما جاء به من الحق. ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾؛ أي: ظهر له الحق بالمعجزات. ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يتبع طريقاً غير طريق المؤمنين، هذا الطريق الذي عليه من الدين، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾؛ نجعله واليا لما تولاه من الضلال، بأن نخليَ بينه وبين الضلال في الدنيا، نتركه على ضلاله. ﴿وَنُصْلِهِ﴾؛ أي: ندخله في الآخرة. ﴿جَهَنَّمَ﴾؛ فيحترق فيها. ﴿وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾؛ أي: مرجعًا، بئس جهنم مرجعاً في الآخرة.

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾؛ الشرك لا يغفره الله – سبحانه وتعالى–، لكن. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ قال. ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾؛ وذكرنا فائدة المشيئة. ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾؛ أي: بعيداً عن الحق، ومن هؤلاء قال الله – سبحانه وتعالى–.

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ [النساء:١١٧].

﴿إِن يَدْعُونَ﴾؛ إن هنا بمعنى ما، أي: ما يدعون، ويدعون بمعنى: يعبدون، أي: المشركون يعبدون. ﴿مِن دُونِهِ﴾؛ أي: من دون الله – سبحانه وتعالى– أي: غير الله – سبحانه وتعالى–. ﴿إِلاَّ إِنَاثًا﴾؛ أي: أصنامًا مؤنثة، اللات، والعُزَّى، ومناة، الله – سبحانه وتعالى– يخاطب المشركين، يقول لهم أنتم تستحقرون الأنثى، ومع ذلك تعبدون الأنثى، لذلك كفار قريش يقولون، إن محمداً يسُبُ آلهتنا، هذا هو السِّبُّ الذي يذكرونه. ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾؛ أي: وما يدعون، أي: وما يعبدون. ﴿إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾؛ خارجاً عن طاعة الله – سبحانه وتعالى– وهو إبليس.

﴿لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:١١٨].

﴿لَّعَنَهُ اللهُ﴾؛ أبعده الله – سبحانه وتعالى– من رحمته. ﴿وَقَالَ﴾؛ إبليس. ﴿لأَتَّخِذَنَّ﴾؛ أي: لأجعلن لي. ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾؛ أي: حظاً. ﴿مَّفْرُوضًا﴾؛ أي: مقطوعًا، أدعوهم إلى طاعتي.

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩].

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾؛ عن الحق بالوسوسة. ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾؛ ألقي في قلوبهم طول الحياة، وألَّا بعث، ولا حساب. ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾؛ وقد فعل ذلك بالبحائر،و البحائر: الأنعام التي يُقَطِّعون آذانها، إن قال قائل من أين لإبليس العلم بالعواقب، حتى قال.

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾؛ وقال في سورة الأعراف: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧]؛ وقال في سورة الإسراء: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [الإسراء:٦٢]؛ نقول هو ظَنَّ ذلك، فتحقق ظنُّه، لذلك الله – سبحانه وتعالى– يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [سبأ:٢٠]؛ والقراءة الثانية "وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ"، يقول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾؛ خلق الله هنا بمعنى دين الله، يغيرون دين الله بالكفر، وإحلال ما حرم الله، تحريم ما أحل الله – سبحانه وتعالى–، هذا هو الراجح من أقوال المفسرين، أن تغيير خلق الله هنا بمعنى: تغيير دين الله – سبحانه وتعالى–. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾؛أي: يتولاه ويطيعه. ﴿مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾؛ بيّناً؛ لأن مصيره إلى النار المؤبدة، والخلق في القرآن له معانٍ منها:

المعنى الأول: الخلق بمعنى: الإيجاد. ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١]؛ أي أوجدكم. ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤]؛ والآيات كثيرة.

المعنى الثاني: الخلق بمعنى: التَخرُص والكذب، قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:١٣٧]؛ أي: اختلاق. ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]؛ ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾[ص:٧]؛ أي: هذا هو معنى التخرص والكذب.

المعنى الثالث: التصوير. ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة:١١٠]؛ أي: تُصَوِّر.

المعنى الرابع: الخلق بمعنى: الجعل. ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم﴾ [الشعراء:١٦٦]؛ ما خلق لكم، أي: ما جعل لكم.

المعنى الخامس: الخلق بمعنى النطق: على قول بعض المفسرين. ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ [فصلت:٢١]؛ أي: أنطقكم أول مرة.

المعنى السادس: كذلك الخلق بمعنى: البناء. ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلاَدِ﴾ [الفجر:٨].

المعنى السابع: كذلك من معاني الخلق: الدِّين، قال تعالى: ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾[النساء:١١٩]؛ الآية التي أمامنا، وقال تعالى: ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]؛ في الروم. ﴿لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، أي لدين الله - سبحانه وتعالى-، يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [النساء:١٢٠].

﴿يَعِدُهُمْ﴾؛ طول العمر. ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾؛ يمنيهم نيل الآمال في الدنيا، ولا بعث، ولا جزاء. ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾؛ بذلك. ﴿إِلاَّ غُرُورًا﴾؛ أي باطلاً، لذلك الله - سبحانه وتعالى- قال.

﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء:١٢١].

﴿أُوْلَئِكَ﴾؛ أصحاب هؤلاء المعتقد. ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ﴾؛ في الآخرة. ﴿جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾؛ أي معدلاً.

تفسير سورة النساء (ص:٩٨) من الآية ١٢٢-١٢٧

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلا﴾ [النساء:١٢٢].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾؛ لما ذكر الفريقَ الأولَ، وهو فريق أهل النار، ذكرَ الفريقَ الآخر. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾؛ جمعوا بين الإيمان والعمل. ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا دخلوا فيها يخلدون. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا﴾؛ أي وعدهم الله - سبحانه وتعالى- ذلك ووعدُه حق. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلا﴾؛ لا أحد أصدق من الله قول، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣].

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾؛ لما افتخر المسلمون، وأهل الكتاب، قال الله - سبحانه وتعالى-. ﴿لَّيْسَ﴾؛ الأمر منوطاً. ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾؛ بل بالعمل الصالح. ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾؛ إما في الآخرة، أو في الدنيا، بالبلاء، والمحن، أماني المسلمين ما نُقل منها: قولهم، كتابُنا ناسخٌ للكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، وأماني المشركين قولهم: لا نُبعث، أماني أهل الكتاب قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه، وأن النار لا تمسنا إلا أيامًا معدودة، وأن كتبانا خير الكُتب، ونبينا خير الأنبياء، فأخبر الله - سبحانه وتعالى- أن دخول الجنة والجزاء، بالأعمال لا بالأماني، قال الله - سبحانه وتعالى- ﴿وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ﴾؛ أي: غير الله - سبحانه وتعالى-. ﴿وَلِيًّا﴾؛ يحفظه. ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾؛ يمنعه من العذاب، ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ [النساء:١٢٤].

﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾؛ شيئًا. ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾؛ هذا جزاؤهم في الآخرة. ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا ينقصون. ﴿نَقِيراً﴾؛ أي: لو شيئاً يسيراً، ثم يقول الله -سبحانه وتعالى-.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ [النساء:١٢٥].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؛ أي: لا أحدَ أحسنُ. ﴿دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾؛ أسلم أي: أخلص. ﴿وَجْهَهُ﴾؛ أي عمله، أخلص وجهه، أي: أخلص عمله. ﴿لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ جمع بين الإخلاصِ، والانقياد، وإخلاص العمل، وإحسانه. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ تلك الملة الموافِقَةُ لملة الإسلام. ﴿حَنِيفًا﴾؛ الحنيف أي: المائل عن الأديان كلها إلى الدين الحق. ﴿وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾؛ صفياً، والخليل هو: خالص المحبة له، الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿مِّمَّنْ أَسْلَمَ﴾؛ الإسلام في القرآن، يطلق على معان:

المعنى الأول: اسم للدين الذي تدين به، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[آل عمران:١٩]؛ ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[الحج:٧٨].

المعنى الثاني: كذلك يُطلق الإسلام، ويراد به التوحيدُ، قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [المائدة:٤٤].

المعنى الثالث: الإسلام بمعنى: الإخلاص. ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ [البقرة:١٣١]؛ أي: أخلِص. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١]؛ ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠].

المعنى الرابع: بمعنى: الاستسلام. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣]؛ هنا بمعنى: الاستسلام لأمر الله - سبحانه وتعالى-، والانقياد لأمر الله - سبحانه وتعالى- . ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣]؛ ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠]؛ أي من المنقادين، المستسلمين لأمر الله - سبحانه وتعالى-، وقال تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:٤٤]؛ ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣]؛ أسلم أي: استسلم له.

المعنى الخامس: الإسلام بمعنى: الإقرار، قال تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]؛ ثم يقول الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦].

﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾؛ مُلكًا هذا أولاً، وخلقاً هذا ثانياً، ﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾؛ أي: هو الذي خلقه. ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾؛ هو الذي خلقه أيضا، ومُلكًا أي: يملِكُ ما في السماوات، وما في الأرض، وعبيدا أي: كلهم يتعبدون، بمعنى ينقادون لأمر الله - سبحانه وتعالى-، إذًا إذاً ما في السماوات وما في الأرض لله: خلقًا أولاً، وملكًا ثانياً، وعبيدًا ثالثاً. ﴿وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾؛ فعلمه، وقدرته أحاطت بكل شيء، قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧].

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء﴾؛ أي: كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال، فلما فرض الله المواريث في هذه السورة، شق ذلك عليهم، فسألوا النَّبي - صلى الله عليه وسلم-، فأنزل الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ أي: يطلبون منك الفتوى. ﴿فِي النِّسَاء﴾؛ أي: في شأن النساء، أي: في ميراثهن. ﴿قُلِ﴾؛ قل لهم.

﴿قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾؛ وكذلك يفتيكم في. ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾؛ أي القرآن، من آية الميراث السابقة، ويفتيكم أيضاً. ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ ما فُرض لهن من الميراث. ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ ترغبون أي: بعضكم يرغب عن أن ينكحها، لأجل دمامتها، أو نحو ذلك، فيعضلها، ويمنع غيره أن يتزوجها، طمعاً في الميراث، ﴿يُفْتِيكُمْ﴾؛ أي: يقول لكم، لا تفعلوا ذلك، كذلك.

﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾؛ ويفتيكم في المستضعفين، الصغار. ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾؛ الصغار من الولدان، يفتيكم أن تعطوهم حقوقهم، وكذلك يأمركم. ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى﴾؛ ويأمركم أن تقوموا لليتامى. ﴿بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالميراث، بالعدل في الميراث والمهر. ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾؛ فيجازيكم الله - سبحانه وتعالى- به.

تفسير سورة النساء (ص:٩٩) من الآية ١٢٨-١٣٤

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨].

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾؛ قالت عائشة، نزلت في المرأة، تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها تكون له مُحبةٌ، أو يكون لها ولد، فتكره فراقه، فتقول له لا تطلقني وأمسكني، وأنت حلٌ في شأني، رواه البخاري، ومسلم، يقول الله – سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا﴾؛ خافت أي: علمت، وتوقعت من بعلها، وبعلها بمعنى: الزوج.

﴿نُشُوزًا﴾؛ إذًا النشوز قد يكون من المرأة، وقد يكون من الرجل، النشوز أن يترفع عن الواجبات، المرأة تترفع عن الواجبات عليها تكون ناشزاً، والرجل يترفع عن أداء الواجبات يكون ناشزاً، قال.

﴿مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾؛أي: يعرض عنها بوجهه. ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾؛ يصلحا بينهما في القَسمة، أو النفقة، بأن تترك له شيئًا، يتفقان عليه، يتراضيان، وإلا فعلى الزوج، إن لم يحصل التراضي، فعلى الزوج أن يُوفيَها حقها، أو يفارقها، يقول الله – سبحانه وتعالى-: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ الصلح خيرٌ من الفرقة، الصلح خيرٌ من البقاء مع النشوز والإعراض.

﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾؛ لما ذكر الله –سبحانه وتعالى– أن المرأة قد تتنازل عن حقها، أو الرجل كذلك، فالله – سبحانه وتعالى– يقول: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾؛ الشح: شدة البخل، أي: جُبلت النفوس على هذا الشح، فالرجل شحيح لا يريد أن يسقط من حقوقه شيئاً، والمرأة كذلك لا تريد أن تسقط من حقوقها شيئاً، قال الله – سبحانه وتعالى-: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ﴾؛ تحسنوا عشرة النساء. ﴿

وَتَتَّقُواْ﴾؛ أي: تجتنبوا الجَوْرَ عليهن. ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ فيجازيكم الله – سبحانه وتعالى– عليه، ثم قال.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩].

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء﴾؛ الله قال: "تعدلوا" هل معنى تعدلوا أي: تساووا؟ نقول لا، العدل إعطاء كل ذي حقٍ حقه، أما المساواة فأعطي جميع الناس نفس الحق، مثاله لو أن رجلاً له ابنان، ابن عمره عشرين، وابن آخر عمره خمس سنوات، صاحب العشرين سنة أعطاه سيارة، الخمس سنوات، الابن ذو الخمس سنوات، هل يعطيه سيارة؟ نقول المساواة، إذا أعطيت هذا سيارة تساوي الآخر، فتعطيه سيارة، لكن الواجب هو العدل؛ فالنَّبي – صلى الله عليه وسلم– قال: «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»، وكذلك بين النساء. ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء﴾؛ في المحبة.

﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛ على ذلك. ﴿فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾؛ لا تميلوا كل الميل إلى التي تحبونها، في القسم، والنفقة. ﴿فَتَذَرُوهَا﴾؛ أي: تتركوا الأخرى. ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾؛ التي لا هي متزوجة، ولا هي غير متزوجة، أي: كالمسجونة. ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾؛ يقول الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾؛ بالعدل، والقسم. ﴿وَتَتَّقُواْ﴾؛ الجور. ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾؛ لما في قلوبكم من الميل. ﴿رَّحِيمًا﴾؛ بكم في ذلك.

تكلمنا عن العدل، وفرقنا بين العدل والمساواة، والعدل في القرآن له معان منها:

المعنى الأول: العدلُ أي: الفِدَاء، قال تعالى: ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة:٤٨]؛ أي: فِداء، أي: مُقابل. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام:٧٠]؛ العدل أي: الفداء.

المعنى الثاني: العدل بمعنى: الإنصاف، وهذا هو المعروف. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾ [النساء:٣]؛ نقول هو الإنصاف، ولا نقول هو المساواة، بعضهم يقول الإسلام: دين المساواة، وهذا خطأ، الإسلام: دينُ العدل.

المعنى الثالث: العدل بمعنى: القيمة، قال تعالى: ﴿أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة:٩٥]؛ أي: قيمة ذلك صيام.

المعنى الرابع: للعدل بمعنى:الشرك. ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُون﴾ [الأنعام:١]؛ أي: أن يشركون، ثم قال الله – سبحانه وتعالى.

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٣٠].

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾؛ أي: الزوجان بالطلاق. ﴿يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ﴾؛ عن صاحبه. ﴿كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾؛ أي: من فضله، بأن يرزق المرأة زوجًا غيره، ويرزق الله – سبحانه وتعالى– الزوج امرأةً غيرها. ﴿وَكَانَ اللّهُ وَاسِعًا﴾؛ لخلقه في الفضل. ﴿حَكِيمًا﴾؛ فيما دبر لهم، ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–، لما ذكر أن الله يغني كلا من سعته، قال.

﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء:١٣١].

﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾؛ فاطلبوا الخير من الذي له ما في السماوات، وما في الأرض. ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ من اليهود والنصارى، . ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾؛ كذلك الوصية لكم يا أصحاب القرآن.

لكن ما هي الوصية؟ ﴿أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ﴾؛ هي: أن تتقوا الله، تخافوا عقاب الله، وذلك بطاعته. ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾؛ قلنا لهم، وقلنا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾؛ بما وصيتم به. ﴿فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾؛

خلقًا، وملكًا، وعبيداً، والمعنى: لا يضره كفركم. ﴿وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا﴾؛ عن خلقه، وعن عبادتهم. ﴿حَمِيدًا﴾؛ أي: محمودٌ في صنعه، ويحمِدُ من أطاعه، ثم قال الله – سبحانه وتعالى–.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [النساء:١٣٢].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾؛ كرره؛ ليقرر التقوى. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾؛ أي: شهيداً، بأن ما في السماوات والأرض لله – سبحانه وتعالى–.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء:١٣٣].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ أي: يا أيها الناس. ﴿وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾؛ بدلكم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾؛ هذا تهديد للكفار، يقول إن يشأ يهلككم، كما أهلك من قبلكم، إذ كفروا بالله، وكذبوا رسله، ثم قال.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤].

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾؛أي: من كان يريد بعمله. ﴿ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾؛ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، من لا يريد إلا ثواب الدنيا فقط، فالواجب عليك أن تطلب هذا من الله؛ لأن عنده ثواب الدنيا والآخرة، كان المشركون العرب يتقربون إلى الله، ليعطيهم من خير الدنيا فقط، ويصرف عنهم شر الدنيا فقط؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث، فأعلمهم الله – سبحانه وتعالى– أن خيري الدنيا والآخرة، عند الله – سبحانه وتعالى–. ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؛ بكل شيء.

تفسير سورة النساء (ص:١٠٠) من الآية ١٣٥-١٤٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ﴾؛ أي قائمين. ﴿بِالْقِسْطِ﴾؛ أي بالعدل. ﴿شُهَدَاء﴾؛ أي: شهداء بالحق. ﴿شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾؛ ولو كانت الشهادة على أنفسكم، فاشهدوا على أنفسكم، واقروا بالحق، ولا تكتموا الحق. ﴿أَوِ الْوَالِدَيْنِ﴾؛ أو كانت الشهادة على الوالدين. ﴿وَالأَقْرَبِينَ﴾؛ أو كانت الشهادة على الأقربين، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿إِن يَكُنْ﴾؛ أي: المشهود عليه.

﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾؛ أولى بهما منكم، وأعلم بمصالحهما، فقال: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ﴾؛ لا يجوز لكم أن تحابوا الغني لإرضائه، ولا أن تحابوا الفقير؛ رحمةً به، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ﴾؛ أي: أن تعدلوا عن الحق إلى الباطل، هذا معنى أن تعدلوا. ﴿وَإِن تَلْوُواْ﴾؛ أي تحرفوا الشهادة. ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾؛أي: تعرضوا عن أداء الشهادة. ﴿فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ فيجازيكم الله - سبحانه وتعالى- به يوم القيامة. ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾؛ أي: تعرض عن الشهادة، يُطلب منك أن تشهد، وليس هناك إلا أنت فتشهد، حيث أنك إذا لم تشهد سيضيع الحق، هذا الإعراض المنهي عنه، أما إذا كان هناك آخر يستطيع أن يشهد، فلا يجب عليك، ثم قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ﴾؛ أي: داوموا على الإيمان، وازدادوا إيماناً. ﴿آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾؛ أي: محمد، وهو القرآن. ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: على الرسل. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾؛ أي: حكمه في الآخرة. ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾؛ أي: عن الحق، تنبيه بعضهم يفرق بين "نَزَّل، وأنزل" وقد ذكرنا أن الصواب عدم التفريق، وقد ذكرنا الحجة في هذا الأمر، والإنزال في القرآن له معان منها:

المعنى الأول: الإنزال بمعنى: القول، قال تعالى: ﴿قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ [الأنعام:٩٣]؛ أي: سأقول مثل ما قال الله.

المعنى الثاني: للإنزال: الخلق، قال الله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٦]؛ أنزل بمعنى: خَلَق. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد:٢٥]؛ أي خلقنا.

المعنى الثالث: الإنزال بمعنى: البَسْط، ﴿وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء﴾ [الشورى:٢٧]؛أي: يَبسُط.

المعنى الرابع: هو: نَفسُ الإنزال وهو كثير. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى:٢٨]؛ ثم يقول الله – سبحانه وتعالى–.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا﴾ [النساء:١٣٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؛ هذا في حق في المنافقين، جماعة من المنافقين. ﴿آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾؛ ارتدوا، ثم رجعوا إلى الإيمان، ثم بعد ذلك ارتدوا. ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا﴾؛ ثم ماتوا على كفرهم، قال الله –

سبحانه وتعالى-: ﴿لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ لأنهم ماتوا على كفر. ﴿وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا﴾؛ أي: طريقًا إلى الحق؛ لأن الله - سبحانه وتعالى- علم أنهم سيموتون على الكفر؛ لذلك ذكر المنافقين، قال.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٣٨].

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾؛ إشارة إلى الذي آمن، ثم كفر، ثم أمن، هذا في شأن المنافقين، لذلك يقول: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾؛ بشر يا محمد. ﴿الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ مؤلمًا في الآخرة، وهو عذاب النار، ومن صفاتهم.

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩].

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يتوهمون في الكفار القوة، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾؛ أيطلبون عند الكفار العزة! والعزة: المنع وشدة الغلبة، هذا من باب الاستفهام الإنكاري، ينكر عليهم، أي: المعنى: لا يجدون عندهم العزة، لماذا؟ ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا﴾؛ العزة في الدنيا، والآخرة لا ينالها إلا أولياء الله - سبحانه وتعالى-، ثم قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾؛ أي: في القرآن، في سورة الأنعام. ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾؛ أي القرآن. ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾؛ أي: لا تقعدوا مع الكافرين، والمستهزئين. ﴿حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾؛ إذا خاضوا لا يجوز لكم أن تجلسوا معهم. ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾؛ أي: إن قعدتم معهم مع استهزائهم فأنتم: ﴿مِّثْلُهُمْ﴾؛ أي: في الإثم. ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾؛

فكما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء، يجمعهم الله – سبحانه وتعالى– في الآخرة، في جهنم، قال إبراهيم النخعي: "إن الرجل ليجلس، ويتكلم بالكلمة، فيُرضيَ الله بها؛ فتصيبَه الرحمة، فتعم من حوله، وإن الرجل ليجلس في المجلس، فيتكلم بالكلمة، فيُسخطَ الله بها؛ فيصيبه السخط، فيعم من حوله".

تفسير سورة النساء (ص:١٠١) من الآية ١٤١-١٤٧

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء:١٤١].

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾؛ أي: المنافقون هم الذين يتربصون بكم، وهذا وصفٌ للمنافقين. ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾؛ أي ينتظرون. ﴿بِكُمْ﴾؛ الدوائر، أي: الهزائم، يتربصون بكم المصائب. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾؛ أي: غنيمة. ﴿فَتْحٌ مِّنَ اللهِ﴾؛ قالوا لكم. ﴿قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؛ أي: ألم نكن معكم في الدين، والجهاد، أي: أعطونا من الغنيمة.

﴿وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أي: من الظفر علي المؤمنين؛ قالوا للكافرين. ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ألم نستول عليكم، ونقدَر على أخذكم، وقتلكم، فأبقيناكم؛ لأنّا كنّا في المسلمين ظاهراً. ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ ألم نمنعكم من المؤمنين أن يظفروا بكم؛ لأننا خذلناهم، وراسلناكم بأخبارهم، فلنا عليكم المنة، هذا قول المنافقين للكافرين، قال الله - سبحانه وتعالى-: ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾؛ أي: وبينهم. ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ بأن يدخل الله - سبحانه وتعالى- المنافقين النار، ويدخل المؤمنين الجنة. ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾؛ أي طريقًا، والله - سبحانه وتعالى- لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، أي: بأن يستأصلوهم، بأن يقتلوهم، بأن يهلكوهم كلهم، الله - سبحانه وتعالى- قال: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾؛ والفتح في القرآن له معان منها:

المعنى الأول: الفتح: الذي هو ضد الإغلاق، فتح الباب مثلاً، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧٣].

المعنى الثاني: للفتح: بمعنى: القضاء، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف:٨٩]؛ وقال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

المعنى الثالث: الفتح بمعنى: الإرسال، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء:٩٦]؛ أي: أُرسلت يأجوج ومأجوج. ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون:٧٧]؛ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [فاطر:٢]؛ أي: ما يرسل. ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢].

المعنى الرابع: الفتح بمعنى: النصر، كما في الآية التي معنا. ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ﴾ [النساء:١٤١]؛ وقال تعالى: ﴿فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ [المائدة:٥٢]؛ ثم يقول الله - سبحانه وتعالى- في وصف المنافقين.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلا﴾ [النساء:١٤٢].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ﴾؛أي: يظهرون خلاف ما يبطنون من الكفر، ليدفعوا عنهم أحكام الدنيا، والحقيقة. ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؛ أي: يجازيهم على خداعهم، فيفضحهم في الدنيا، بإطلاع الله - سبحانه وتعالى- نبيه على ما أبطنوه، ويعاقبهم في الآخرة، فالحقيقة أن الله - سبحانه وتعالى- تركهم وهو عالم بهم، ليقيم الحجة عليهم، فيعاقبهم يوم القيامة. ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾؛ مع المؤمنين. ﴿قَامُواْ كُسَالَى﴾؛ متثاقلين. ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ﴾؛ بصلاتهم. ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلا﴾؛ قال: قليلاً؛ لأنه غير مقبول، والعمل غير المقبول، يكون قليلاً، قال الله - سبحانه وتعالى-.

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ [النساء:١٤٣].

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾؛ مذبذبين أي: مترددين. ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾؛ أي: بين الكفر والإيمان. ﴿لاَ إِلَى هَؤُلاء﴾؛ لا منسوبين إلى الكفار. ﴿وَلاَ إِلَى هَؤُلاء﴾؛ ولا منسوبين إلى المؤمنين. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ﴾؛ من يضلله الله - سبحانه وتعالى-. ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾؛ أي طريقًا إلى الهداية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء﴾؛أي: لا تجعلوا منهم بطانةً، وتعتمدون عليهم من دون المؤمنين. ﴿ ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء﴾؛ أي: لا توالوهم، موالاة. ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ﴾؛ بموالاتهم. ﴿سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾؛ بَيِّنًا على نفاقكم.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

النارُ لها دركات، والجنة لها درجات. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ﴾؛ في المكان. ﴿الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾؛ وهو قعرها. ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾؛ أي مانعًا من عذاب الله - سبحانه وتعالى-، ثم استثني.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ﴾؛ من النفاق. ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾؛ وأصلحوا عملهم. ﴿وَاعْتَصَمُواْ﴾؛ وثقوا بالله. ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ﴾؛ من الرياء، لم يقصدوا في أعمالهم إلا الله - سبحانه وتعالى-. ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: فأولئك من المؤمنين. ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ في الآخرة، وهو دخول الجنة، والنجاة من عذاب النار.

﴿مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾؛ يؤمن بالله – سبحانه وتعالى–، يوحد الله – سبحانه وتعالى– أي: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ﴾؛ هذا الاستفهام، بمعنى النفي، أي: لا يعذبكم الله بإيمانكم، أي: وجود الإيمان، والتوحيد. ﴿مَّا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا﴾؛ لأعمال المؤمنين، فيشكرهم يثيبهم. ﴿عَلِيمًا﴾؛ بخلقه وتدبيره.